علوم القرآن عند الإمام السهيلي

(٥٠٨ هـ-٥٨١هـ)

من خلال كتابه "الروض الأنف"

عبد العزيز أيـت مالك

"إني رأيت أنه لا يكتب إنسان كتابا إلا قال في غده: لو غير هذا لكان أحسن، ولوزيد كذا لكان يستحسن، ولو قدم هذا لكان أفضل، ولو ترك هذا لكان أجمل. وهذا من أعظم العبر، وهو دليل على استيلاء النقص على جملة البشر"

العماد الاصفهاني

مقدمة:

من المعلوم أن علوم القران الكريم من أجل العلوم الشرعية مكانة، وأعظمها منزلة، ذلك أنها متعلقة بكتاب الله العزيز، المنزل من لدن حكيم خبير، ومن تم حصل هذا الشرف العظيم وذلك الفضل الكبير.

ولقد اعتنى علماء الاسلام بعلوم القران مند فترة مبكرة من تاريخ الاسلام. و توالت المؤلفات والمصنفات في ذلك على امتداد الزمن واختلاف المكان. مصنفات تتضمن علوم القران كلا أو بعضا. وعلماء جهابدة من الشرق والغرب انبروا لخدمة كتاب الله العزيز . بل إن ما يثير الانتباه أن مؤلفات عدة في مواضيع مختلفة كاللغة والادب والسيرة والتاريخ... تضمنت الدراسات القرآنية ،وإن كان الامر ليس لذاته، بل لتوسيع دائرة البحث.

وفي هذا الصدد ألف الامام عبد الرحمن السهيلي كتابه المشهور"الروض الأنف في شرح السيرة النبوية لابن هشام". وموضوع الكتاب–كما هو معلوم–هو السيرة النبوية، إلا أنه احتوى على مادة غزيرة تتعلق بأنواع عديدة من علوم القرآن. ومن تم ارتأيت أن يكون موضوع هذا البحث: ''علوم القرآن عند الإمام السهيلي من خلال كتابه الروض الأنف"،محاولا استخراج علوم القرآن الواردة في الكتاب ودراستها من منظور المؤلف.

وهذا البحث يروم استخراج مباحث علوم القرآن الواردة في"الروض الأنف"، ودراسة منهج المؤلف في تناوله لتلك المباحث، في ضوء المادة الواردة في الكتاب.

حاولت تتبع المادة المتعلقة بعلوم القرآن واستقرائها من الكتاب. وأفردت كل مبحث من تلك المباحث بالدراسة، على أنني ألجأ –في بعض الأحيان–الى حذف مادة معينة، أو أكتفي بالإحالة عليها، تجنبا للتكرار، ودفعا للإطالة الجالبة للسأم والملل، محاولا تحقيق القصد والتوسط، خصوصا فيما يتعلق ببعض المباحث كالتفسير الذي كثرث مادته وغزرت في الكتاب، وبعضها لا يضيف إيراده أي جديد.

هذا، وقد اجتهدت في وضع العناوين الفرعية، بعد تأمل النصوص وما تحمله من دلالات وأبعاد. كما اجتهدت في ترتيب المباحث. فجعلت علم التفسير في مستهل تلك العلوم، والناسخ والمنسوخ خاتمتها، وذلك أسوة بصاحب" الروض"،إذ أجده في أحيان كثيرة،

يورد الآية ويفسرها، ويورد أسباب نزولها، ويصنفها ضمن المكي أو المدني، ويبين أوجه القراءات فيها وإعرابها وإعجازها. . . هذا فيما يتعلق بالناحية المنهجية، أما من الناحية العلمية–ومما يتعلق بمصادر البحث ومراجعه–. ف"الروض الأنف"هو المصدر المعتمد في هذا البحث. كما استعنت بمراجع اخرى بعضها متعلق بعلوم القرآن، وأخرى بالتراجم.

وقد تناولت الموضوع وفق الخطة والتصميم الآتي:

*مدخل: تحدثت فيه عن علوم القرآن : تعريفا ونشأة وتأليفا إلى حدود عصر الإمام السهيلي.

*الفصل الأول: حول المؤلِف والمؤلَف، وقسمته الى خمسة مباحث:

المبحث الأول: تحدثت فيه عن مميزات عصر الإمام السهيلي: سياسيا، اجتماعيا، علميا وثقافيا.

المبحث االثاني: يتناول نسب ونشأة الإمام السهيلي.

المبحث الثالث: آثاره

المبحث الرابع: مكانته ومنزلته

المبحث الخامس: حول الكتاب"الروض الأنف"

*الفصل الثاني: علوم القرآن في الروض الأنف. وينقسم الى مباحث:

المبحث الأول: علم التفسير

" الثاني: أسباب النزول

" الثالث: المكي والمدني

" الرابع: القراءات القرآنية

" الخامس: إعراب القرآن

" السادس: إعجاز القرآن

" السابع: المحكم والمتشابه

" الثامن: عام القرآن

" التاسع: مجاز القرآن

" العاشر: الإختصاص

" الحادي عشر: الناسخ والمنسوخ

*خاتمة.

ثم ذيلته بفهارس لموضوعات ومباحث علوم القرآن في الكتاب.

وتلك محاولة بذلت فيها قصارى جهدي، إذ"مالايدرك كله لايترك جله"، فان وُفقت فالفضل لله عز وجل. وإن كانت الاخرى فحسبي الجهد المبذول والقصد المحمود، منشدا قول الحريري:

فإن تجد عيبا فسد الخللا ▲▲▲ فجل من لا عيب فيه وعلا.

مدخل:

الحديث عن "علوم القرآن عند الإمام السهيلي" يقتضي تناول علوم القرآن الكريم: تعريفا ونشأة وتأليفا. على أن يمتد تناول حركة التأليف إلى حدود عصر الإمام السهيلي.

١- **مفهوم علوم القرآن:**

"علوم القرآن"هذا اللفظ مركب إضافي له معنيان: معنى باعتباره مركبا إضافيا، ومعنى باعتباره علما.

أما المعنى الأول(باعتباره مركبا): فيراد بكلمة "علوم": كل علم يخدم القرآن الكريم ويتصل به ويستند إليه. و ينتظم ذلك علم التفسير وعلم أسباب النزول، وعلم إعجاز القرآن وعلم الناسخ والمنسوخ وعلم إعراب القرآن، وعلم القراءات وعلم عد الآي وفواصلها، وعلم الرسم العثماني، وعلم الدين من فقه وتوحيد وغيرهما. وعلم العربية من نحو وبلاغة وسواهما.

ويراد بكلمة "القرآن": الكتاب المقدس المنزل على سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم المتعبد بتلاوته.

والمعنى الثاني: يراد به أن لفظ(علوم القرآن) نقل من هذا المعنى الإضافي، وجُعل علما على الفن المدون، وأصبح مدلوله"علما" غير مدلوله"مركبا إضافيا". ويمكن تعريفه باعتباره"علما بأنه" المباحث المتعلقة بالقرآن الكريم من ناحية مبدإ نزوله وكيفية هذا النزول، ومكانه ومدته، ومن ناحية جمعه وكتابته في العصر النبوي وعهد أبي بكر وعثمان. ومن ناحية إعجازه وناسخه ومنسوخه ومحكمه ومتشابهه، وأقسامه وأمثاله. ومن ناحية سوره وآياته وترتيله وأدائه . إلى غير ذلك.([1])

٢- **نشأة علوم القرآن:**

كان الصحابة رضوان الله عليهم عربا خُلصا، يتذوقون الأساليب الرفيعة، ويفهمون ما ينزل على النبي صلى الله عليه وسلم من الآيات البينات. فإذا أشكل عليهم فهم شيء من القرآن سألوا النبي عليه الصلاة والسلام ،فبين لهم ما خفي عليهم، لأن الله عز وجل آتاه

[1] - انظر :مقدمة عبد الحق القاضي ل"جمال القراء وكمال الإقراء"ج١ ص ١٠.

الكتاب، وعلمه مالم يكن يعلم. فلم تكن الحاجة ماسة إلى وضع تأليف في "علوم القرآن"في ذلك العصر.

وظلت علوم القرآن تروى بالتلقين والمشافهة على عهد النبي صلى الله عليه وسلم، ثم على عهد الشيخين أبي بكر وعمر رضي الله عنهما. وفي خلافة عثمان رضي الله عنه بدأ اختلاط العرب بالأعاجم. فأمر عثمان رضي الله عنه الناس أن يجتمعوا على مصحف إمام. وأن تنسخ منه مصاحف للأمصار، وأن يحرق ما عداها. وقد شكلت" لجنة" لهذه المهمة برئاسة زيد بن ثابت رضي الله عنه. فوضعت منهجا اتبعته في رسم الكلمات التي ورد فيها أكثر من قراءة صحيحة. وبهذا تكون هذه اللجنة قد وضعت الأساس لعلم "رسم القرآن".

وإذن، فلم تكن علوم القرآن قد اتخذت وضعا مستقلا في العصور الإسلامية، وإنما وردت متفرقة في روايات المحدثين وأقوال العلماء. ولم ينطلق التدوين في العلوم المتعلقة بالقرآن الكريم إلا في القرن الثالث. إذ ظهرت مؤلفات في بعض أنواع علوم القرآن، كما ظهرت مصنفات أخرى تضمنت العديد من مباحث علوم القرآن، وحملت مصطلح" علوم القرآن."([1])

٣- **<u>حركة التأليف في علوم القرآن إلى حدود عصر الإمام السهيلي:</u>**

بدءا من القرن الثالث، نشطت حركة التاليف في علوم القرآن. إذ وجد في كل مصر من أمصار الإسلام علماء مختصون، ألفوا في علوم القرآن، وصنفوا في كل علم من علومه. وقد عد التفسير أول علم ظهر ضمن علوم القرآن.

وهكذا ألف علي بن المديني شيخ البخاري(ت٢٣٤هـ) في أسباب النزول. وأبو عبيد القاسم بن سلام(ت٢٢٤هـ) في الناسخ والمنسوخ والقراءات. كما صنف ابن قتيبة(ت٢٧٦هـ) في مشكل القرآن، وأبو بكر السجستاني (ت٣٣٠هـ) في غريب القرآن. وتتابع التأليف بعد ذلك، فألف أبوبكر الباقلاني(ت٤٠٣هـ) في إعجاز القرآن، وعلي بن إبراهيم الحوفي(ت٤٣٠هـ) في إعراب القرآن، والماوردي (ت٤٥٠هـ) في أمثال القرآن. وأبو عمرو الداني في القراءات السبع، وفي نقط القرآن.

أما المؤلفات الجامعة لأنواع علوم القرآن فهي الأخرى متعددة. ونوردها كما يلي:

[1] - انظر:جمال القراء وكمال الإقراء لعلم الدين السخاوي. مقدمة عبد الحق القاضي. ج١ ص١٠

-الرغيب في علوم القرآن للواقدي(ت٢٠٩هـ)
-الحاوي في علوم القرآن لأبي بكر بن المرزبان(ت٣٠٩)
-عجائب علوم القرآن لأبي بكر الأنباري(ت٣٢٨هـ)
-المختزن في علوم القرآن لابي الحسن الاشعري(ت٣٣٤هـ)
-الشامل في علوم القرآن لابي بكر الصولي (ت٣٣٠هـ)
-الإستغناء في علوم القرآن لمحمد الادفوني(ق٤هـ)
-البرهان في علوم القرآن للحوفي(ت٤٣٠هـ) ([1])

تلك نماذج وأمثلة للمصنفات في علوم القرآن إلى نهاية القرن الخامس الهجري. وقد شهدت نشاطا واسعا بعد ذلك. واصله ثلة من علماء الأمة الفضلاء. حيث سيصنف الإمام السهيلي في القرن السادس كتابه"التعريف والإعلام فيما أبهم في القرآن من الأسماء والأعلام"،إضافة إلى ما تضمنه روضه من أنواع متعددة من علوم القرآن الكريم.

[1] - انظر:جمال القراء وكمال الإقراء لعلم الدين السخاوي. مقدمة عبد الحق القاضي. ج١ ص ١١.

الفصل الأول:

حول المؤلِف والمؤلَف

المبحث الأول: مميزات عصر الإمام السهيلي(ق٦هـ)

ما من شك في أن الحديث عن الإمام السهيلي يقتضي عرضا-ولو موجزا-لملامح عصره الذي عاش فيه، وتوضيح معالم تلك الحقبة التاريخية من الناحية السياسية والاجتماعية والعلمية/الثقافية.

ا-**الحياة السياسية**: ما يميز الأندلس -والمغرب عموما-في تلك الحقبة الزمنية(القرن السادس الهجري)التي عاش فيها الإمام السهيلي هو انعدام الاستقرار السياسي، وتوالي الفتن والثورات والحروب، سواء على المستوى الداخلي او الخارجي.

-داخليا: ظهرت الدعوة الموحدية التي قضت مضجع الدولة المرابطية، إذ رام أصحابها القضاء على المرابطين، ومن تم الاستيلاء على السلطة في المغرب والأندلس. وقد تم-بالفعل-إخضاع الاندلس للحكم الموحدي ابتداء من سنة احدى واربعين وخمسمائة(٥٤١هـ) ([1])

-خارجيا: توالت الغارات الشديدة للنصارى على أهل الاندلس، وبتفاقمها أخذت أرض الاندلس تتقص من اطرافها، ويصبح مصير أهلها متأرجحا بين الأسر والقتل والاستضعاف، خصوصا إبان تدهور الدولة المرابطية؛حيث تعرضت كثير من مدن وقرى الاندلس للخراب والدمار. ومن ضمنها قرية" سهيل" مسقط رأس الامام السهيلي.

وعن هذا اللاتوازن الحاصل في بلاد الاندلس على المستويين: الداخلي والخارجي يتحدث عبد الواحد المراكشي قائلا: "اجترأ عليهم(المرابطون)العدو، واستولى النصارى على كثير من الثغور المجاولة لبلادهم. وكان أيضا من أسباب ما ذكرناه من اختلالها (الاندلس) قيام ابن تومرت بسوس، واشتغال علي ابن يوسف به عن مراعاة أحوال الجزيرة، ولما رآى أعيان بلاد تلك الجزيرة ما ذكرناه من ضعف أحوال المرابطين، أخرجوا من كان عندهم من الولاة، واستبد كل منهم بضبط بلده، وكادت الأندلس تعود إلى سيرتها الأولى بعد انقطاع دولة بني أمية" ([2])

---

[1] - البيان المغرب في احبار الاندلس والمغرب. ابن عذاري المراكشي. ص٣٣

[2] - المعجب في تلخيص اجبار المغرب. ص ١٤٦

ب-الحياة الاجتماعية: لا شك أن الحياة السياسية قد أثرت بشكل كبير على الحياة الاجتماعية لأهل الاندلس. وهكذا ساد الفقر والمرض والأوبئة، نتيجة الحروب والغارات المتلاحقة، كما أنهك الطاعون الناس. هذا وتذكر المصادر التاريخية أن الاسعار شهدت غلاء فاحشا في هذه الحقبة الزمنية([1]). فضلا عن انعدام الامن وسيادة الفوضى.

هذة المظاهر جميعها كانت مرتبطة بفترة تدهور الدولة المرابطية-التي عانت فيها ساكنة الأندلس الأمرين-شجعت النصارى على الإقدام- بعد الإحجام- على شن الغارات والاستيلاء على الأراضي، وما رافق ذلك من قتل وتشريد واستذلال. وفي هذا الصدد يقول عبد الواحد المراكشي واصفا هذا الإختلال الخطير في أوضاع الاندلس وأسباب ذلك: "فأما احوال جزيرة الأندلس، فانه لما كان آخر دولة أمير المسلمين ابي الحسن علي بن يوسف اختلت أحوالها اختلالا مفرطا، أوجب ذلك تخاذل المرابطين وتواكلهم، وميلهم الى الدعة، وايثارهم الراحة وطاعتهم النساء، فهانوا على اهل الجزيرة، وقلوا في أعينهم"([2])

ج-الحياة العلمية/الثقافية:

رغم ما ميز القرن السادس الهجري بالاندلس من انعدام الاستقرار السياسي، واشتداد وطاة الفتن والغارات، وعدم اطمئنان الناس على أنفسهم واموالهم واهليهم. فإن بلاد الاندلس شهدت إشعاعا علميا وثقافيا في مختلف أرجائها. ولا أدل على ذلك من بروز علماء وأدباء وشعراء ونحاة وأطباء وفلاسفة. . . أندلسيين، ممن عاصروا الإمام السهيلي، ونخص بالذكر منهم : الفقيه الحافظ أبو بكر ابن الجد، والحافظ أبو بكر ابن العربي المعافري، القاضي عياض اليحصبي، الوزير الطبيب ابو بكر ابن زهر، الفيلسوف ابو الوليد ابن رشد، وابوبكر بن طفيل. . . وغيرهم. كما أن الإهتمام بالعلم وتكريم أهله كان حاضرا لدى بعض سلاطين الدولة الموحدية([3])، إذ كان السلطان الموحدي "يوسف بن عبد المومن" قد عد من اعظم خلفاء الموحدين حبا للعلم وتقديرا لرجاله. حيث كان يبعث في طلب العلماء، ويستقدمهم الى مراكش([4]). كما انه " لم يزل بجمع الكتب من اقطار الاندلس والمغرب، ويبحث عن العلماء، وخاصة أهل علم النظر، إلى أن اجتمع له منهم ما لم يجتمع لملك قبله

[1] - البيان المغرب عذاري. ص ١٣٧
[2] - المعجب في تلخيص اخبار المغرب. ص ١٤٦
[3] - ومن قبل كانت الدولة المرابطية اكثر عناية بالعلماء. حتى كان يطلق عليها "دولة الفقهاء"
[4] - انظر:تاريخ الاسلام. حسن ابراهيم حسن. ج٤ ص ٢٢٣-٢٢٤

ممن ملك المغرب"([1]). ومن ضمن من استقدم: الإمام السهيلي. وكان ذلك سنة ثمان وسبعين وخمسمائة(٥٧٨هـ) .

المبحث الثاني: الإمام السهيلي: نسبه ونشاته:

*نسبه: أبو القاسم وأبو زيد وأبو الحسن([2])عبد الرحمن بن الخطيب أبي محمد عبد الله بن الخطيب أبي عمرو بن ابي الحسن أصبغ بن حسين بن سعدون بن رضوان بن فتوح. وهو الداخل الى الاندلس. قال الحافظ أبو الخطاب بن دحية(أحد تلامذته) : هكذا أملى علي نسبه، الخثعمي السهيلي الإمام المشهور([3])

*مولده ونشاته: أجمعت كتب التراجم والسير على أن الإمام عبد الرحمن السهيلي ولد سنة ثمان وخمسمائة للهجرة(٥٠٨هـ) بالأندلس. حيث نشأ ب"سهيل"وهي قرية بالقرب من مالقة، سميت باسم الكوكب، لانه لا يرى في جميع بلاد الاندلس إلا من جبل مطل عليها. و(مالقة)بفتح الميم، وبعد الألف لام مفتوحة، ثم قاف مفتوحة، وبعدها هاء. وهي مدينة كبيرة بالاندلس([4]).

أقام السهيلي بالأندلس طويلا. فنهل من كنوز المعرفة ما نهل، وتزود من المعارف والفنون ما تزود. ولم أعثر فيما اطلعت عليه من كتب التر اجم أنه رحل خارج الأندلس في وقت الطلب. وربما لم يبرح بلده أثناء طلب العلم([5])، لكنه أقبل عليه إقبالا منقطع النظير، مكنه من أن يكون –كما شهد بذلك أصحاب التراجم والسير–"عارفا بالفقه والعربية واللغة والقراءات والكلام والأصول والأدب، بارعا في ذلك، جامعا بين الرواية والدراية، عالما بالتفسير وصنعة الحديث، حافظا للرجال والأنساب والتاريخ، واسع المعرفة، نبيها ذكيا، صاحب صلاح وفلاح، حافظا علما شهيرا، تصدر للإقراء والتدريس وذاع صيته([6])، رغم أنه

---

[1] - المعجب في تلخيص اخبار المغرب. ص ١٠٩.

[2] - هذه الكنية(ابو الحسن) لم يوردها غير صاحب (الديباج المذهب)نقلا عن الإمام الذهبي،وصاحب كتاب(معجم المؤلفين).

[3] - وفيات الاعيان . ابن خلكان. ج٣ ص ١٤٣- شجرة النور الزكية . محمد مخلوف. المجلد١ ص ٢٢٥.

[4] - وفيات الاعيان. ج٣ ص ١٤٣.

[5] - ذكر المقري انه سكن إشبيلية مدة من الزمن ،لازم فيها ابن العربي وابن الطراوة. انظر:نفح الطيب. ج٤ ص٣٥٩. قلت: ولعل الذي صرفه عن الرحلة في طلب العلم خارج الاندلس هو فقده للبصر منذ فترة مبكرة من حياته-والله اعلم-

[6] - نفسه ج٣ص.

أنه كان ضريرا، إذ عمي وله من العمر سبع عشرة سنة([1]) تلقى الإمام السهيلي العلم عن مجموعة من الحفاظ والأئمة المشهود لهم بالعلم والفضل. وهكذا أخذ عن الحافظ أبي بكر محمد بن عبد الله بن العربي المعافري(ت٥٤٣هـ) . كما أخذ النحو عن سليمان بن محمد بن عبد الله بن الطراوة(ت٥٢٨هـ) . وأخذ الأدب عنه أيضا، والقراءات عن أبي داود الصغيرسليمان بن يحيى([2]). وهكذا نهل من علم هؤلاء الحهابذة، حتى عد من كبار أهل العلم. ومن المشاركين في أنواع كثيرة من العلوم، وأضرب عديدة من الفنون.

تتلمذ على يده كثيرون، من أبرزهم: عمر ابن الحسن أبو الخطاب المعروف ب"ابن دحية"(ت٦٣٣هـ) ، وهو أديب ومؤرخ وحافظ للحديث. صاحب "المطرب في أشعار أهل المغرب". وعمر بن محمد الازدي الشلوبيني(ت٦٤٥هـ) وهو من كبار علماء النحو واللغة، وعمر بن عبد المجيد الازدي الرندي نزيل مالقة([3]).

المبحث الثالث: آثاره:

خلف الإمام السهيلي العديد من المصنفات الجليلة القدر، العظيمة الشأن. وذلك في فنون مختلفة، وقضايا متنوعة:

فمما يتعلق بعلوم القرآن: ألف عدة مصنفات، منها:

* التعريف والإعلام فيما أبهم في القرآن من الأسماء والأعلام. وهو كتاب مهم. تتجلى أهميته في تعيين وتسمية المبهمات في القرآن الكريم. وقد أشاد به كثير من علماء القرآن، باعتباره المصدر الأساس في علم المبهمات. يقول الإمام السيوطي عن هذا الكتاب: "وهو مؤلف جليل، ذكر فيه (السهيلي)ما جاء في القرآن العظيم من أسماء الأعلام. تلقاه الفضلاء بأيدي القبول واعترفوا بفضله. واشتغلوا بمطالعته(...) وشرحه الحافظ العالم الفاضل محمد بن احمد الغرناطي الأصل، مالكي المذهب، المتوفى سنة ثلاث وتسعمائة، واختصره . ثم شرحه العالم الفاضل بدر الدين الشيخ محمد بن عبد الله ابن الفاضل احمد. وسماه "التكميل والإتمام"([4])

---

[1] - الاعلام . الزركلي. المجلد ٣ ص ٢١٣.
[2] - طبقات الحفاظ للسيوطي ص ٤٧٩.
[3] - انظر:مقدمة "التعريف والإعلام"لمحققه عبد ا مهنا.
[4] - طبقات المفسرين ج١ص ٤٤٢.

* تفسير سورة يوسف: وقد ذكر الزركلي أن هذا الكتاب مخطوط في خزانة الرباط([1])

وفي غير علوم القرآن، هناك مصنفات اخرى، منها:

* الروض الأنف في شرح السيرة النبوية لابن هشام. وهو من أعظم كتبه وأكثرها شهرة. وهو موضوع هذا البحث. وسنسلط المزيد من الضوء على هذا الكتاب عند الحديث عن المؤلف–إن شاء الله.

* شرح آية الوصية في علم الفرائض

* نتائج الفكر([2])

* مسألة رؤية الله عزوجل في المنام، ومسألة رؤية النبي صلى الله عليه وسلم.

* مسالة السر في عور الدجال

* شرح الجمل للزجاجي–لم يكتمل–([3])

الى جانب جملة من القصائد الشعرية الرائعة، التي نظمها في مناسبات مختلفة. ولعل أشهر قصائده هي القصيدة العينية، التي يقول عنها تلميذه" ابن دحية": أنشدنيها(أي: السهيلي) وقال: ما يسأل الله بها أحد شيئا إلا أعطاه إياه. وهي:

يا من يرى ما في الضمير ويسمع **** أنت المعد لكل ما يتوقع

يا من يرجى للشدائد كلها **** يا من إليه المشتكى والمفزع

يا من خزائن ملكه في قول كن **** امنن فإن الخير عندك أجمع

مالي سوى فقري إليك وسيلة **** فبالإفتقار إليك فقري أدفع

مالي سوى قرعي لبابك حيلة **** فلئن رددت فأي باب أقرع

ومن ذا الذي أدعو وأهتف باسمه **** إن كان فضلك عن فقيرك يمنع

حاشا لمجدك أن تقنط عاصيا **** الفضل أجزل والمواهب أوسع

ثم الصلاة على النبي وآله **** خير الانام ومن به يستشفع([4])

واجتاز على قريته"سهيل"وقد خربها النصارى، لما أغاروا عليها، وقتلوا أهلها وأقاربه. وكان غائبا عنهم، فاستأجر من أركبه دابة، وأتى به إلى"سهيل"فوقف بإزائه، وأنشد قائلا:

---

[1] - الاعلام المجلد٣ ص ٢١٣.

[2] - أورد عمر رضا كحالة(نتائج النظر) بدل (نتائج الفكر). انظر معجم المؤلفين ج٢ ص٩٤.

[3]- انظر:البداية والنهاية لابن كثير ج ١١ ص ٢٧٦/شذرات الذهب لابن العماد ج٤ ص ٤٤٥/الديباج المذهب لابن فرحون المجلد ١ ص ٤٢٣/معجم المؤلفين عمر رضا كحالة ج١ ص ٩٤

[4]- وفيات الاعيان لابن خلكان ج٣ ص١٤٣/شذرات الذهب لابن االعماد ج ٤ ص ٤٤٦

يادار، أين البيض والآرام **** أم أين جيران علي كرام
راب المحب من المنازل أنه **** حيا فلم يرجع إليه سلام
لما أجابني الصدى عنهم ولم **** يلج المسامع للحبيب كلام
طارحت ورق حمامها مترنم **** مقال صب والدموع سجام
يادار ما فعلت بك الأيام **** ضامتك والأيام ليس تضام([1])

ومن نظمه كذلك:

أسائل عن جيراني من لقيته **** أعرض عن ذكراه والحال تنطق
ومالي إلى جيرانه من صبابة **** ولكن نفسي عن صبوح ترقق([2])

وله أشعار كثيرة يضيق المجال بذكرها.

إن هذه الآثار والمصنفات العظيمة الممتعة لتنبئ عن نبوغ صاحبها، هذا الإمام الفذ الذي وهب حياته للعلم، إفادة وتدريسا وتأليفا. على الرغم من كونه–رحمه الله–كان ضريرا، لكن الله عزوجل عوضه بفقد البصر نور البصيرة.

كان مشهورا بين الناس بورعه وتقواه وصلاحه. كما كان ببلده يتسوغ بالعفاف ويتبلغ بالكفاف([3])، وأقام ببلده إلى أن نما خبره إلى صاحب مراكش([4]) فطلبه إليها وأكرمه وأحسن إليه، وأقبل بوجهه كل الإقبال عليه، وأقام ب"مراكش" نحو ثلاثة أعوام([5]) يصنف كتبه إلى أن توفي بها([6]).

المبحث الرابع: مكانته ومنزلته:

الإمام السهيلي من العلماء البارزين في الغرب الإسلامي، الذين أثروا المكتبة الإسلامية والثراتية بإنتاجاتهم المتميزة. لمع نجمه في الأندلس، لكن شهرته امتدت لتشمل أرجاء العالم الإسلامي. وعلى الرغم من فقده للبصر في مرحلة مبكرة من شبابه، إلا أنه كان

---

[1]- نفح الطيب للمقري التلمساني ج٤ ص٣٥٩
[2]- نفسه ج٢ ص ٣١٧
[3] - وفيات الاعيان . ج ٣ ص ١٤٤
[4] - هو: يوسف بن عبد المومن الخليفة الموحدي. يقال إنه استدعى السهيلي سنة ٥٧٨هـ
[5] - شذرات الذهب لابن العماد ج٤ ص ٤٤٦/وفيات الاعيان لابن خلكان ج٣ ص ١٤٤
[6] - الاعلام للزركلي ج٣ ص ٢١٣

بارعا في علوم اللغة والنحو والادب والتاريخ والأنساب. . . مدينا للعلماء وطلبة العلم –من بعده– بإنتاجاته المتميزة واستنباطاته الأخاذة.

ولقد أجمع أصحاب التراجم والسير على علو مكانة الرجل وسمو منزلته. ذكره الإمام الذهبي فقال: "أبوزيد وأبو القاسم. العلامة الاندلسي المالقي الضرير، النحوي، الحافظ العلم، صاحب التصانيف. برع في العربية واللغة والأخبار والأثر، وتصدر للإفادة وذكر الآثار([1]). كما أ شار الحافظ ابن كثير إلى انه"حصل حتى برع، وساد أهل زمانه بقوة القريحة وجودة الذهن وحسن التصنيف. وذلك من فضل الله تعالى ورحمته، وكان ضريرا مع ذلك"([2]).

هكذا فاق الإمام السهيلي غيره من أهل زمانه بالبراعة والذكاء المفرط، وجودة التأليف. وهذا الإمام السيوطي يثني عليه ثناء حسنا فيقول: "الحافظ العلامة البارع ابو القاسم(...) كان إماما في لسان العرب، واسع المعرفة، غزير العلم، نحويا متقدما لغويا، *عالما بالتفسير* وصناعة الحديث. عارفا بالرجال والانساب. عارفا بالكلام وأصول الفقه. عارفا بالتاريخ . ذكيا نبيها. صاحب استنباطات"([3]) .علوم متعددة وفنون متنوعة برع فيها الرجل، بل أبدع وأتى بالعجب العجاب، حتى حصلت له الإمامة في علوم شتى. وفي هذا الصدد يشير العلامة ابن الموقت المراكشي–من خلال نقله لأقوال أصحاب التراجم عن المؤلف–إلى انه"كان *مالكي المذهب*، عارفا بالفقه والعربية واللغة *والقراءات* والكلام والأصول والأدب(...) واسع المعرفة، نبيها ذكيا، صاحب اختراعات ونوادر في الخير عجيبة"([4])

وفاته:

أقام الإمام السهيلي بمراكش ثلاث سنوات(مابين ٥٧٨ و ٥٨١هـ) لتدركه المنية بها . وذلك "يوم الخميس السادس والعشرين من شعبان([5])سنة إحدى وثمانين وخمسمائة(٥٨١هـ) . . ودفن وقت الظهر خارج "باب الرب"وهو أحد أبواب مراكش([6]). وعاش اثنتين وسبعين سنة([7]).

---

[1] - الديباج المذهب لابن فرحون المجاد ١ ص ٤٢٤

[2] - البداية والنهاية ج١١ ص ٢٧٦

[3] - طبقات الحفاظ ص ٤٧٩

[4] - السعادة الابدية. ص ١٥٨

[5] - البداية والنهاية لابن كثير ج١١ ص ١٥٨

[6] - السعادة الابدية لابن الموقت ص ١٥٨

[7] - الديباج المذهب لابن فرحون المجلد ١ ص ٤٢٥/شذرات الذهب لابن العماد ج٤ ص ٤٤٦

المبحث الخامس: حول المؤلف"الروض الأنف"

كتاب" الروض الانف" هو شرح للسيرة النبوية لابن هشام. وهو من أشهر كتب الإمام السهيلي وأنفعها على الإطلاق. فقد أجاد فيه وأفاد.

١-سبب تأليف الكتاب:

يعود سبب تاليف هذا الكتاب إلى رغبة صاحبه في تعقب سيرة ابن هشام بالشرح والإضافة والتعليق والإستنباط اللغوي والفقهي. . . . يقول السهيلي موضحا سبب تصنيفه لروضه: "وبعد، فإني انتحيت في هذا الإملاء بعد استخارة ذي الطول، والإستعانة بمن له القدرة و الحول، إلى إيضاح ما وقع في سيرة رسول الله صلى الله عليه وسلم، التي سبق إلى تاليفها أبو بكر محمد ابن إسحاق المطلبي، ولخصها عبد الملك بن هشام المعافري المصري النسابة النحوي، مما بلغني علمه ويسر لي فهمه، من لفظ غريب او إعراب غامض او كلام مستغلق، أونسب عويص، او موضع فقه، ينبغي التنبيه عليه، أو خبر ناقص يوجد السبيل إلى تتمته. . . "([1])

٢-اهميته:

الروض الانف كتاب زاخر بفوائد العلوم والآداب، من أنساب وفقه ونحو. . . ومما يشهد لأهمية هذا الكتاب ثناء كثير من الائمة والحفاظ عليه وعلى مؤلفه. فهذا الإمام الحافظ ابن كثير يشيد بهذا السفر قائلا: "الروض الانف يذكر فيه(مؤلفه) نكتا حسنة على السيرة، لم يسبق إلى شيء منها أوإلى أكثرها"([2]).

وتتجلى أهميته كذلك إذا ما علمنا بأن السهيلي -رحمه الله- قد اعتمد في تأليف هذا الكتاب على مصادر ومراجع كثيرة جدا تربو على المائة. يقول المؤلف موضحا هذ ا الأمر: "(هذا الكتاب) مستخرج من نيف على مائة وعشرين ديوانا، سوى ما أنتجه صدري، ونفحه فكري، ونتجه نظري، ولقنته عن مشيختي من نكت علية لم أسبق إليها ولم أزحم عليها"([3]). ومن تم فهو كتاب فقه وانساب، ومرجع في اللغة والنحو والشعر...

٣-المنهج العام للمؤلف في الكتاب:

[1] - مقدمة المؤلف للروض الانف ج١ ص ٣--٤
[2] - البداية والنهاية ج١١ ص ٢٧٦
[3] - مقدمة الروض الانف ج١ ص ٤

كما سبقت الإشارة إلى ذلك. فالمؤلف يورد كلام ابن هشام، ثم يتعقبه بالِشرح والتوضيح، والإضافة والتحليل والنقد أحيانا. . . ويعزز آراءه اللغوية والنحوية–إن كان الأمر يتعلق بقضية لغوية–بقراءات الائمة المشهورين، وبمذاهب فطاحل اللغة وأئمة النحو، فضلا عن تدعيمه للمسائل اللغوية بالأشعار الكثيرة. وهكذا يتناول كل مسألة بعمق النظر وشمولية الرؤية.

كما أنه يتعقب الآيات التي أوردها ابن إسحاق، فيتناول تفسيرها وتأويلها، وأوجه القراءات فيها، موردا سبب نزولها ونسخها–إن وجد– منتقلا إلى إعرابها وبيان إعجازها. . . وكل ذلك باعتدال وتوسط. إذ أخذ على نفسه القصد وعم الإطالة.

٤–إهداء الكتاب:

ذكر السهيلي في مقدمة "الروض الانف" أن كتابه مهدى لأمير المومنين ([1])

إذ ذكر في مقدمته أنه "سيرد الحضرة العلية، وان الإمامة ستلحظه بعين القبول، وأنه سيكتب للخزانة المباركة عمرها الله بحفظه وكلاءته، وأمد أمير المومنين بتأييده ورعايته. فينتظم الكتاب بسلك أعلاقها(نفائسها)، ويتسق مع تلك الانوار في مطالع إشراقها"([2])

٥–مدة تصنيف الكتاب:

أشار المؤلف –رحمه الله– إلى أنه شرع في إملاء كتابه "الروض الانف" "في شهر المحرم سنة ٥٦٩هـ، وكان الفراغ منه في جمادى الاولى من نفس العام. أي أنه مكث في تأليفه أربعة أشهر تقريبا لا غير. مما يدل على موسوعية الرجل وذكائه المفرط، وطول باعه في شتى العلوم والمعارف، فضلا عن إنعام الله عليه ببركة الوقت، على الرغم من فقده للبصر.

٦–طبعات الكتاب:

طبع الكتاب طبعات عدة. وقد اطلعت على طبعتين:

الأولى: طبعة شركة الطباعة الفنية المتحدة. ١٩٧٢. والتي قدم لها وعلق عليها وضبطها طه عبد الرءوف سعد. وتقع في مجلدين ضخمين. كل مجلد يتضمن جزأين.

[1] - لعل المقصود هو ابو يعقوب يوسف بن عبد المومن الموحدي.
[2] - مقدمة الروض الانف ج١ ص ٤

الثانية: تقع في سبعة أجزاء قدم لها وعلق عليها الشيخ عمر عبد السلام السلامي. طبع دار إحياء الثرات العربي. بيروت لبنان. ١٤٢١/٢٠٠٠. هـ

الفصل الثاني:

علوم القرآن في "الروض الأنف"

المبحث الاول: التفسير:

١- **تعريفه:** التفسير هو الإيضاح والتبيين. ومنه قوله تعالى:"ولا ياتونك بمثل إلا جئناك بالحق واحسن تفسيرا" الفرقان . الآية٣٣.

وفي الإصطلاح: "علم يبحث فيه عن القرآن الكريم من حيث دلالته على مراد الله تعالى بقدر الطاقة البشرية"([1]).

أو هو "علم يفهم به كتاب الله تعالى وبيان معانيه، واستخراج أحكامه وحكمه"([2]).

٢- **التفسير والتأويل في منظور الإمام السهيلي:**

من العلماء من يجعل التفسير والتأويل بمعنى واحد. ومنهم من يميز بينهما. والملاحظ أن الإمام السهيلي يميل إلى التفرقة بين المفهومين. وذلك أثناء عرضه لمعاني

[1] - مناهل العرفان للزرقاني ج٢ ص ٢٦٥.
[2] - البرهان للزركشي ج١ ص ٣٣.

الآيات. فتارة يعبر عن ذلك بلفظ التفسير. كقوله:(تفسير : أرأيت ولنسفعا)، (قال بعض أهل التفسير[1]). . . وتارة يستعمل لفظ التأويل. من ذلك قوله: (اختلف أهل التأويل في الروح)[2]. (وأما ما قاله أهل التأويل في خزنة جهنم)[3] (والله أعلم بتأويل ذلك، وقد بقي في نفسي من تأويل هذه الآية شيء)[4]. وهذا ينم –من دون شك–عن كون المؤلف يميز بين المفهومين. وهو رأي كثير من أهل العلم. إذ أوردوا تعاريف عديدة فرقوا خلالها بين التفسير والتأويل. ومن ضمن ما قالوا:

–التفسير: ما وقع مبينا في كتاب الله تعالى، أو معينا في صحيح السنة. والتأويل ما استنبطه العلماء. فالتفسير ما يتعلق بالرواية، والتاويل ما يتعلق بالدراية.

–التفسير: اكثر ما يستعمل في الالفاظ ومفرداتها. والتأويل اكثر ما يستعمل في المعاني والجمل[5]. ولعل التعريف الأخير ينسجم مع تصور المؤلف لكل من التفسيروالتأويل. وهكذا نجده يصرح بلفظ "التفسير" خصوصا عند بيان معاني الألفاظ ومفرداتها[6].

بينما يستعمل لفظ" التأويل"في المعاني والجمل. [7]

٣–منهجه في التفسير:

١– التفسير بالماثور[8]: اعتمد المؤلف–رحمه الله – في بيان معاني الآيات على على التفسير بالمأثور، إدراكا منه بأهميته، وهكذا نجد شواهد وأمثلة لكل نوع من أنواع التفسير بالمأثور في "الروض":

أ) تفسير القرآن بالقرآن : قوله تعالى:"يأيها الذين امنوا اتقوا الله و كونوا مع الصادقين"[9]، و قد بين في سورة الحشر من الصادقون، وهم المهاجرون، بقوله". .

---

[1] - انظر:الروض الانف ج٢ ص ٥٠
[2] - نفسه ج٢ ص ٦١
[3] - نفسه ج٢ ص ٦٥
[4] - نفسه ج ٢ ص ٧٦
[5] - مباحث في علوم القرآن. مناع القطان، ص ٣٢٧
[6] - انظر الروض:ج١ ص ١٥/ج ٢ ص٢١-٢٢-٥١-٥٥. . .
[7] - انظر الروض:ج٢ ص ٦١- ٦٥- ٧٦. . .
[8] - هو ما جاء في القرآن او السنة او كلام الصحابة بيانا لمراد الله تعالى من كلامه.
[9] - الآية ١٢٠ سورة التوبة

اولئك هم الصادقون"([1])([2])، فقد تبين معنى (الصادقين)الوارد في سورة التوبة، وفسرهاب(المهاجرين) الوارد في سورة الحشر . فكان تفسيرا للقرآن بالقرآن .

ب) تفسير القران بالسنة : ومن أمثلته في "الروض" مايلي:

"ذكر النفر من الجن الذين نزل فيهم قرآن، والذين ولوا إلى قومهم منذرين وقالوا ياقومنا إنا سمعنا كتابا انزل من بعد موسى (. .) وفي الحديث: " انهم كانوا من جن نصيبين"([3])، فقد فسر القرآن بالسنة.

ج–تفسير القرآن باقوال الصحابة:

اورد المؤلف عند حديثه عن اصحاب اليمين الذين ذكرهم الله تعالى في سورة المدثر من قوله تعالى:"الا اصحاب اليمين في جنات يتساءلون عن المجرمين"([4]) قول ابن عباس: هم الاطفال الذين ماتوا صغارا، ولذلك سألوا المجرمين: ما سلككم في سقر"([5]) لانهم ماتوا قبل أن يعلموا بكفر الكافرين"([6])

–قال تعالى: "ومنكم من يريد الآخرة"([7]) قال ابن عباس: هو عبد الله بن جبير الذي كان أميرا على الرماة. ([8])

د–تفسير القرآن باقوال التابعين:

ومن امثلته في" الروض الانف": ما اورده المؤلف في معرض حديثه عن الاحوال المختلفة للوحي. قال: "قال مجاهد: واكثر المفسرين في قوله سبحانه: "ما كان لبشر ان يكلمه الله إلا وحيا([9]) قال: هو ان ينفث في روعه بالروح([10])

–قوله تعالى: "فلا تولوهم الادبار"([11]). قال الحسن (البصري): ليس الفرار من الزحف من الكبائر، إلا يوم بدر، وفي الملحمة الكبرى التي تاتي آخر الزمان([12])

---

[1] - الآية ٨ سورة الحشر.
[2] - الروض الانف ج٣ ص ١٩٤
[3] - الروض ج٢ ص ٢٣٦
[4] - الآيتان ٣٩-٤٠ سورة المدثر.
[5] - الآية ٤١ نفس السورة
[6] - الروض الانف ج٢ ص ١٥٢
[7] - الآية ١٥٢ سورة آل عمران
[8] - الروض الانف ج ٣ ص ١٩٤
[9] - الآية ٤٨ سورة الشورى
[10] - الروض ج ١ ص ٢٦٩
[11] - الآية ١٥ سورة الانفال
[12] - الروض ج ٣ ص ٨١

-"قال مجاهد في قوله جل وعز: "عسى الله ان يجعل بينكم وبين الذين عاديتم منهم مودة([1])قال: هي معاهدة النبي صلى الله عليه وسلم لابي سفيان([2])

هكذا نلاحظ بان التفسير بالماثور باقسامه وانواعه حاضر حضورا قويا في الروض الانف، من خلال الامثلة العديدة والكثيرة في الكتاب.

٢- **التفسير بالراي**: وهو التفسير المبني على الإجتهاد. وامثلته في "الروض الانف" كثيرة، يصعب عدها وحصرها. ونقتصر على التمثيل له بما يلي:

-"إن الله سبحانه يقول: "ومن يرد فيه بإلحاد بظلم نذقه من عذاب اليم"([3]) أي: ومن يسلم فيه بظلم. والباء في قوله(بظلم) تدل على صحة المعنى، وأن من هم فيه بالظلم-وإن لم يفعل- عذب، تشديدا في حقه، وتعظيما لحرمته. ومثلما يفعل الله باصحاب الفيل اهلكهم قبل الوصول إليه([4])

- قال سبحانه: "ولا تنكحوا ما نكح ما نكح آباؤكم من النساء إلا ما قد سلف "([5]). اي: إلا ما سلف من تحليل ذلك قبل الإسلام. وفائدة هذا الإستثناء ألا يعاب نسب رسول الله صلى الله عليه وسلم، وليعلم انه لم يكن في اجداده من كان لغَية (أي: لزنا) ولا من سفاح. ألا ترى انه لم يقل في شيء نهى عنه القرآن "إلا ما قد سلف"نحو قوله: "ولا تقربوا الزنا"([6]). ولم يقل "إلا ما قد سلف". "ولا تقتلوا النفس التي حرم الله"([7])ولم يقل "إلا ما قد سلف". ولا في شيء من المعاصي التي نهى عنها إلا في هذه. وفي الجمع بين الاختين"([8]).

-قال سبحانه: "فضربنا على آذانهم "([9])أي: انمناهم. وإنما قيل في النائم: ضرب الله على اذنه، لان النائم ينتبه من جهة السمع. والضرب هنا مستعار من ضرب القفل على

---

[1] - الآية ٧ سورة الممتحنة
[2] - الروض ج ٤ ص ١١٣
[3] - الآية ٢٣ سورة الحج
[4] - الروض ج ١ ص ٤٠
[5] - الآية ٢٢ سورة النساء
[6] - الآية ٣٢ سورة الإسراء
[7] - الآية ٣٣ سورة الإسراء
[8] - الروض الانف ج١ ص ٢٥٤
[9] - الآية ١١ سورة الكهف

الباب. وذكر قوله تعالى: "تزاور عن كهفهم ذات اليمين"([1]). وقيل في "تقرضهم": تحاذيهم. وقيل: تتجاوزهم شيئا شيئا. من القرض، وهو القطع. اي: تقطع ما هنالك من الارض. وهذا كله شرح اللفظ. واما فائدة المعنى فإنه بين انهم في مقنوة من الارض، ولاتدخل عليهم الشمس فتحرقهم، وتبلى ثيابهم، ويقلبون ذات اليمين وذات الشمال، لئلا تاكلهم الارض. والفائدة العظمى في هذه الصفة بيان كيفية حالهم في الكهف، وحال كلبهم، واين هو من الكهف، وانه بالوصيد منه، وان باب الكهف إلى جهة الشمال للحكمة التي تقدمت"([2]).

وامثلة التفسير بالراي كثيرة لا تكاد تحصى، ولولا ضيق المجال لذكرنا من الامثلة اكثر من هذا. غير انه" يكفي من القلادة ما أحاط بالعنق" .من خلال ما ذكر من امثلة التفسير بالماثور، والتفسير بالراي، ندرك أن المؤلف–رحمه الله–اعتمد في تفسيره للآيات في" روضه" على التفسير بنوعيه السابقين. إدراكا منه –رحمه الله–بضرورة المزج بينهما واستحضارهما لدى كل مفسر، وفي كل تفسير. وان الإقتصار على احدهما دون الآخر – ربما–قد يقلل من اهمية التفسير، على الرغم مما قد يبذل فيه من جهد. وإن كان التفسير بالراي هو الغالب عند المؤلف في تفسيره للآيات.

٤–مصادره في التفسير:

من خلال التفسير الوارد في ثنايا كتاب" الروض الانف"، نلاحظ ان المؤلف قد اعتمد في تفسيره للآيات على مصادر متعددة ومتنوعة. وهكذا يقتبس من تفسير **الطبري**([3])([4])، وتفسير **النقاش**([5])([6])، **وابن سلام**([7])([8]) وتفسير الماوردي([9])([10])، والكشي([11])([12]). . .

---

[1] - الآية ١٧ سورة الكهف

[2] - الروض الانف ج ٢ ص ٥٥

[3] - محمد بن جرير. المؤرخ المفسر،الإمام. من كتبه: تاريخ الامم والملوك،جامع البيان،اختلاف الفقهاء. كان مجتهدا ،صاحب مذهب. توفي ٣١٠ه

[4] - انظر مثلا :ج ٢ ص ١٥٢

[5] - محمد بن الحسن. ابوبكر . عالم بالقرآن وتفسيره. من كتبه:شفاء الصدور في التفسير،الموضح في القرآن ومعانيه. . . توفي ٣٥١ه

[6] - انظر:ج ٢ ص ١٦-٢٥٧/ج ٣ ص ٨٢/ج٤ ص ١٨٤

[7] - ابوعبيد القاسم الهروي. من كبار العلماء بالحديث والادب والفقه. له:الغريب المصنف،فضائل القرآن، الاموال. . توفي ٢٢٤ه

[8] - انظر:ج ١ ص ٢٣٦-٢٦٩/ج ٢ ص ١١١-١٥١-١٨٤.

[9] - علي بن محمد بن حبيب. ابو الحسن. اقضى قضاة عصره. كان يميل إلى الإعتزال. من كتبه:الاحكام السلطانية،ادب الدنيا والدين. . . توفي ٤٥٠ه

[10] - انظر:ج ٢ ص ١١١.

[11] - عبد بن حميد. حافظ حجة. من كتبه:التفسير الكبير،والمسند. توفي ٢٤٩ه

[12] - انظر:ج٣ ص ١٤

. من الذين صرح باسمائهم. إذ انه في بعض الاحيان يكتفي بالقول: "ذكر اهل التفسير، ذكر المفسرون، وقال بعضهم، وقالت طائفة. . . "من غير تعيين.

ونشير هنا إلى الحضور القوي لفطاحل هذا العلم في تفسير الإمام السهيلي للآيات. من الصحابة الافاضل **كابن عباس** رضي الله عنهما. الذي اعتمد المؤلف تفسيره في كثير من المواضع. وكذا تلميذه **مجاهد**. على ان ثمة اسماء اخرى استشهد المؤلف باقوالهم وآرائهم كالصحابي الجليل كعب الاحبار. ومن التابعين كذلك: الحسن البصري، وعامر الشعبي. .

وإلى جانب كتب التفسيرالمذكورة. نجد ان المؤلف–رحمه الله–رجع إلى كتب التفسير الواردة في مصنفات الحديث. كصحيح البخاري([1])، وسنن الترمذي([2]). .

وإذا كان الإمام السهيلي قد اتخذ المصادر الآنفة الذكر في التفسير، فإن هذا لا يدل– بالضرورة– على انه يفتقد للإستقلالية في تفسير القرآن، إذ نجد الرجل يعمد إلى كثير من الآيات القرآنية فيفسرها دون عزو ذلك إلى احد من المفسرين، ولا نسبته إلى مصدر معين. الامر الذي يدل على انه –رحمه الله–يفسر الآيات من عنديته انطلاقا من موسوعيته، وباعه الطويل في العلوم والمعارف. خاصة تلك التي يشترط توفرها في المفسر. على ان اعتماده على المصادر في التفسير لم يكتف فيه بمجرد الإقتباس فقط، بل إنه يعمد إلى الإضافة والتعليق على اقوال المفسرين، وذلك كتعليقه على حديث ابن عباس –رضي الله عنهما– حين سئل عن معنى قوله تعالى"اوخلقا مما يكبر في صدوركم"([3]) فقال: الموت. قال المؤلف معلقا: "وهو تفسير يحتاج إلى تفسير"([4]). هذ ا فضلا عن ترجيحه بين اقوال المفسرين وتصحيحها، ومن ذلك: قوله رحمه الله: "ذكر الله تعالى بيعة النساء في القرآن، فقال: "يبايعنك على ان لا يشركن بالله شيئا"([5]) الآية.، فاراد ببيعة النساء انهم لم يبايعوه على القتال. وكانت مبايعته للنساء ان ياخذ عليهن العهد والميثاق. فإذا اقررن بالسنتهن قال: قدبايعتكن. وما مست يده يد امراة في مبايعته. كذلك قالت عائشة. وقد روي انهن كن

---

[1] - انظر مثلا:ج ٢ ص ٢٥

[2] - انظر:ج ٣ ص ١٩٢-١٩٣.

[3] - الآية ٥١ سورة الإسراء.

[4] - الروض الانف ج ٢ ص ٧٦.

[5] - الآية ١٢ سورة الممتحنة.

ياخذن بيده في البيعة من فوق ثوب، وهو قول عامر والشعبي. ذكره عنه ابن سلام في تفسيره. والاول اصح([1]).

ومن تجليات استقلالية المؤلف–رحمه الله– في علم التفسير. –مما يتعلق بالمنهج– كونه يورد الاقوال المتعددة لاهل التفسير في المسألة الواحدة. من ذلك مثلا: ما اورده في بيان معنى" النادي " الوارد في قوله تعالى: "فليدع ناديه"([2]). قال: ". . والنادي والندى والمنتدى بمعنى واحد. وهو مجلس القوم الذي يتنادون إليه. وقال اهل التفسير فيه اقوالا متقاربة . قال بعضهم: فليدع حيه. وقال بعضهم: عشيرته. وقال بعضهم: مجلسه..."([3]).

ومن جهة اخرى، يورد الإفتراضات التي يمكن ان يعترض بها بعض الناس عليه. فيرد على الإفتراض، ويعلل مذهبه في تفسيره للآية اوللآيات، مستنبطا بلاغة القرآن، وإعجاز الكتاب([4]). فضلا عن توظيفه الجيد للغة في تأكيد صحة التفسير نثرا ونظما. وقد نمثل لهذا الاخير، بما اورده المؤلف في تفسير "المشي" من قوله تعالى: "ان امشوا واصبروا على آلهتكم"([5]) إذقال: ذكر بعض اهل التفسير ان قولهم(امشوا) من المشاء. والمشاء: نماء نماء المال وزيادته. يقال: مشى الرجل وامشى: إذا نما ماله. قال الشاعر:

وكل فتى وإن امشى واثرى ***** ستخجله عن الدنيا منون([6])

وعلى الرغم من كل ما سبق. فإن المؤلف لا يجد حرجا في الإعتذار عن تاويل بعض الآيات. وهو امر ينم عن تواضع جم. وذلك شان العلماء الربانيين المخلصين. ولعل من بين الامثلة التي تبرز تواضع المؤلف رحمه الله ما تعقب به تفسير ابن عباس رضي الله عنهما لقوله تعالى: "اوخلقا مما يكبر في صدوركم"([7])انه الموت. قال رحمه الله: "رأيت لبعض المتأخرين فيه. قال : اراد ابن عباس ان الموت سيفنى كما يفنى كل شيء، كما جاء انه يذبح على الصراط، فكان المعنى ان لو كنتم حجارة او حديدا لادرككم الفناء والموت

---

[1]- الروض ج ٢ ص ١٨٣-١٨٤
[2] - الآية ١٨ سورة العلق.
[3] - الروض الانف ج ٢ ص ٥١
[4] - انظر المصدر نفسه ج٢ ص ٥٧
[5] - الآية ٥ سورة ص
[6] - الروض ج ٢ ص ١٧١
[7] - الآية ٥١ سورة الإسراء

الذي هو كبير في صدوركم، فلا بد لكم من الفناء. والله اعلم بتاويل ذلك، وقد بقي في نفسي من تاويل هذه الآية شيء حتى يكمل الله نعمته بفهمها إن شاء الله تعالى"([1]).

لا شك ان القارئ سيدرك علو كعب المؤلف في علم التفسير. من خلال الكم الكثير من الآيات القرآنية الواردة في الكتاب مع تفسيرها، وإيراد اقوال المفسرين فيها، وترجيح الاقوال، مع المزج بين التفسير بالماثور والتفسير بالرأي. واعتماد اقوال المفسرين المشهورين.

[1] - الروض ج ٢ ص ٧٦

المبحث الثاني: اسباب النزول:

١-تعريفه:

"سبب النزول هو ما نزلت الآية او الآيات متحدثة عنه، او مبينة لحكمه ايام وقوعه"([1]). وسبب النزول يكون قاصرا على أمرين:

-الاول: أن تحدث حادثة فيتنزل القرآن الكريم بشانها.

-الثاني: أن يُسال رسول الله صلى الله عليه وسلم عن شيء، فيتنزل القرآن ببيان الحكم فيه([2])

٢-صيغ اسباب النزول عند السهيلي:

يرى علماء القرآن ان التعبير عن سبب النزول يتم تارة بالتصريح بلفظ "السبب"، وتارة لايصرح فيها بلفظ السبب. ولكن يؤتى بفاء داخلة على مادة "نزول الآية"عقب سرد حادثة. وهاتان العبارتان نص في السببية. وثمة عبارة اخرى لايصرح فيها بلفظ السبب، ولا يؤتى بتلك الفاء. بل يكتفى بالقول فيها: نزلت هذه الآية في كذا. وهذه العبارة تحتمل السببية، كما تحتمل بيان الحكم([3]).

وإذا رجعنا إلى "**الروض الانف**" نجد انه قد تضمن هذه الصيغ جميعها. وإن كان ثمة تفاوت في نسب إيراد كل صيغة منها. وسنقدم لكل صيغة مثالا مما ذكره الإمام السهيلي في روضه.

أ- مثال الصيغة الاولى: (التصريح بلفظ السبب):

"سبب نزول سورة الضحى أن ذلك (كان) لفترة الوحي عنه. وخرج البخاري من طريق جندب بن سفيان ان رسول الله صلى الله عليه وسلم اشتكى، فلم يقم ليلتين او ثلاثا. فقالت له امراة: إني لأرجو أن يكون شيطانك قد تركك"([4]) وهذه الصيغة امثلتها قليلة جدا بالنسبة إلى باقي الصيغ الاخرى.

ب-مثال الصيغة الثانية(الإتيان بفاء عقب مادة "نزول الآية"): والملاحظ أن هذه الصيغة هي الشائعة والمستعملة بكثرة من طرف الإمام السهيلي، من أمثلتها:

---

[1] - مناهل العرفان للزرقاني ج١ ص٦٤

[2] - أنظر مباحث في علوم القران لمناع

[3] - راجع مناهل العرفان ج١ص٦٩

[4] - الروض الانف للسهيلي ج ١ ص٢٧٣

ب–١) ذكر إبن إسحاق قول رسول الله صلى الله عليه وسلم: "دثروني دثروني" فأنزل الله تعالى: "يايها المدثر قم فاندر"([١])–([٢]).

ب–٢) ذكر النسوي([٣]) أيضا بإسناده الى إبن عباس أن أباجهل قال له (للرسول صلى الله عليه وسلم): ألم انهك؟ فوالله مابمكة أعز من نادي. فأنزل الله تعالى" أرايت الذي ينهى عبدا إذا صلى. . . إلى قوله: "فليدع ناديه سندع الزبانية"([٤]) ([٥])

ج– مثال الصيغة الثالثة (التي تحمل السببية، وتحمل بيان الحكم):

–١ ذكر المؤلف أن "الصحيح من الأثر أتبث لأبي طالب الوفاة على الكفر والشرك، وأتبث نزول هذه الاية فيه " ماكان للنبي والذين أمنوا أن يستغفروا للمشركين "([٦])([٧]).

–٢ ذكر حديث المستهزئين الذين أنزل الله فيهم " إناكفيناك المستهزئين " ([٨])(...) وذكر في المستهزئين الأسود بن يغوث الزهري، روى أنه لما أنزل الله تعالى : " إنا كفيناك المستهزئين " نزل جبريل عليه السلام فحنا ظهر الاسود، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : خالي خالي، فقال له جبريل : خل عنك، ثم حناه حتى قتله(...)([٩])([١٠]).

٣) تعدد النازل والسبب واحد:

قد يكون الامر الواحد سببا لنزول آيات متعددة، كما ذكر ذلك علماء القرآن الكريم. ونذكر لهذه المسالة شاهدا نستشهد به من "الروض الأنف":

عند حديثه عن الحمس([١١]). ذكر السهيلي انه انزل في امرهم قوله تعالى: "يابني آدم خذوا زينتكم عندكل مسجد وكلوا واشربوا ولا تسرفوا "([١٢]). كما نزل في شأنهم ايضا قوله عز

---

[١] - الاية ١ من سورة المدثر

[٢] - المصدر السابق ج١ص٢٧٣.

[٣] - النسوي: حسن بن سفيان. مصنف المسند في الحديث، كان محدث خراسان في عصره مقدما في الفقه والأدب. توفي سنة ٣٠٣هـ.

[٤] - من الأية ٩ إلى الأية ١٢من سورة العلق القطان ص٧٧-٧٨.

[٥] - المصدر السابق ج٢ص٥١

[٦] - الآية ١١٤ سورة التوبة

[٧] - الروض الانف ج ٢ ص ١٧٠

[٨] - الآية ٩٥ سورة الحجر

[٩] - الروض ج ٢ ص ١٦٧

[١٠] - ينظر ايضا :ج ٢ ص ٢٨٩/ج ٣ ص ٧٩-٨٢-١٢٧-١٩٤-٢٥٠. . . في الروض الانف.

[١١] - الحمس: سكان الحرم. كانوا لا يخرجون ايام الموسم إلى عرفات. إنما يقفون بمزدلفة . وسموا بذلك لانهم تحمسوا:أي تشددوا. انظر:لسان العرب. مادة (حمس)ج٢ ص ٥٨

[١٢] - الآية ٢٩ سورة الاعراف.

وجل: "وما كان صلاتهم عند البيت إلا مكاء وتصدية"([1]). وأنزل عليهم كذلك قوله سبحانه: "وليس البر ان تاتوا البيوت من ظهورها"([2])([3]).

هكذا إذن كان السبب واحدا والنازل متعددا. فالآية الأولى من سورة الاعراف، والآية الثانية من سورة الانفال، بينما الآية الثالثة من سورة البقرة.

٤-مصادر الإمام السهيلي في أسباب النزول:

لاشك أن المصادر التي اعتمدها السهيلي في أسباب النزول تتسم بالتعدد والتنوع. إلا انه لم يصرح باسمائها او باسماء مؤلفيها بشكل كلي، بل اقتصر على التصريح بهؤلاء الأعلام:

-البخاري(ج ١ ص ٢٧٣)، النسوي(ج٢ ص ٥١)، الدارقطني([**]) (ج٢ ص١٦٧)، عبد بن حميد(ج٢ ص١٩٧)، ابو داود السنجري(ج٢ص٢٠١)، مقاتل بن سليمان([**]) (ج٣ص٧٠)، النقاش([**]) (ج٣ص٨٢)، والترمذي(ج٤ص١١٣) من الذين صرح بأسمائهم. إذ أنه أحيانا ما يعمد إلى صيغة التمريض في بيان سبب نزول الاية او الآيات، من ذلك مثلا: قوله: "**يروى** ان ام عمارة قالت لرسول الله صلى الله عليه وسلم: ما أرى كل شيء إلا للرجال، وما أرى للنساء شيئا. فأنزل الله تعالى: "إن المسلمين والمسلمات"الآية([4])([5]).

هكذا تتسم مصادر المؤلف بالتنوع والتعدد، خصوصا وانه-فيما يبدو-لم يعتمد على المصنفات المتخصصة في الباب. ككتاب المديني مثلا. بل نجده-احيانا-يعتمد على مصنفات في علوم أخرى غير علم أسباب النزول. من ذلك: إيراده لسبب نزول قوله تعالى: "قدنرى تقلب وجهك في السماء "([6]) معتمدا على كتاب الناسخ والمنسوخ لأبي داود السنجري([7]). إضافة إلى كتب التفسير كالنقاش وغيره، فضلا عن كتب السنن: كسنن

---

[1] - الآية ٣٥ سورة الانفال.
[2] - جزء من آية ١٨٨ سورة البقرة.
[3] - الروض الانف ج ١ ص ٢٣٩.
[**] - الدارقطني:علي بن عمار. إمام عصره في الحديث. له كتاب السنن. توفي ٣٧٥ه
مقاتل بن سليمان: من أعلام المفسرين. من كتبه:التفسير الكبير،نوادر التفسير. توفي ١٥٠ه.
النقاش:ابوبكر. عالم بالقرآن وتفسيره. من كتبه:الموضح في القرآن ومعانيه،شفاء الصدور في التفسير. . . توفي ٣٥١ه.
[4] - الآية ٣٥ سورة الأحزاب.
[5] - الروض الانف ج٢ ص٢٠٢/٢٩٠
[6] - جزء من آية ١٤٣ سورة البقرة
[7] - انظر الروض ج ٢ص٢٠١

الدارقطني، والترمذي. ولعله يروم من وراء ذلك نقل أسباب النزول معتمدا على الأحاديث والآثار. وإن كانت كتب السنن قد اختلط فيها الصحيح بالضعيف. ومعلوم أن العلماء شددوا في معرفة اسباب النزول على ضرورةالإعتماد على صحة الرواية عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، أو عن الصحابة.

على أن المؤلف–رحمه الله–قدصرح فعلا باعتماده الرواية الصحيحة في هذا المجال، من خلال نقله عن كتب الصحيح. وإن كان ذلك النقل لا يتجاوز الإثنين أو الثلاثة. ومن ذلك–مثلا–إيراده سبب نزول سورة الضحى انطلاقا من صحيح البخاري([1])، مقتصرا عليه دون غيره في هذا السبب، مع العلم ان سورة الضحى لها سبب آخر معروف. غير أن المؤلف أعرض عن إيراده، لأنه ليس بصحيح كما بين ذلك علماء القرآن الكريم.

٤– عموم اللفظ وخصوص السبب:

"معنى ذلك أن يأتي الجواب أعم من السبب، ويكون السبب أخص من لفظ الجواب. وذلك جائز عقلا وواقع فعلا، لأنه لا محظور فيه ولاقصور. بلأإن عمومه مع خصوص سببه موف بالغاية، ومؤد للمقصود وزيادة"([2]). بيد أن ثمة اختلافا بين العلماء في حكمه: هل المعتبر عموم اللفظ أم خصوص السبب؟والجمهور على أن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب. وذهبت طائفة إلى أن المعتبر هو خصوص السبب لا عموم اللفظ. وإن كان مذهب الجمهور هو الأهدى سبيلا لقوة حججهم، وسلامة استدلالهم. وليس هذامجال إيرادها([3]).

والإمام السهيلي في "روضه"–وإن أورد آيات اشار إلى أسبابها الخاصة([4])، فإنه لم تصدر عنه عبارة تدل على أنه يرى وجوب قصر هذه الآيات على أسبابها الخاصة فقط، مما يعني–بدليل الخطاب(مفهوم المخالفة)كونه يذهب مذهب الجمهور في المسألة. ونحب هنا أن نسوق– بهذا الصدد–كلاما نفيسا لشيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله، يؤكد فيه على أن استشهاد أهل العلم بآيات معلومة نزلت في أسباب خاصة، لا يلزم منه البتة كونهم يرون قصر عمومات القرآن على أسبابها الخاصة. يقول رحمه الله: "قد يجيء هذا كثيرا، ومن هذا

---

[1] - نفسه ج١ ص٢٧٣.
[2] - مناهل العرفان للزرقاني ج١ص٧٤وانظر كذلك:ج٢ص١٠٩
[3] - انظرعلى سبيل المثال:مناهل العرفان ج١ ص ٧٦ وما بعدها
[4] - انظر مثلا ج٢ص ٧٧-٩٤-١١٥. . .

قولهم: إن آية الظهار نزلت في امرأة أوس بن الصامت، وأن آية الكلالة نزلت في جابر بن عبد الله(...) ونظائر ذلك مما يذكرون أنه نزل في قوم من المشركين بمكة، أو في قوم من اليهود والنصارى، أو في قوم من المومنين. فالذين قالوا ذلك لم يقصدوا أن حكم الآية يختص بأولئك الأعيان دون غيرهم. هذا لا يقوله مسلم ولا عاقل على الإطلاق. والناس تنازعوا في اللفظ العام الوارد على سبب. هل يختص بسببه. فلم يقل أحد إن عمومات الكتاب والسنة تختص بالشخص المعين. وإنما غاية ما يقال: إنما تختص بنوع ذلك الشخص، فتعم ما يشبهه"([1]).

انطلاقا من هذه الكلمات المنيرة التي تمت الإستضاءة بها في هذه المسألة، يجب التأكيد على أن الإمام السهيلي–رحمه الله–قد سلك مسلك الجمهور في الإعتبار بعموم اللفظ لا بخصوص السبب.

المبحث الثالث: المكي و المدني

اولا–الفرق بين المكي و المدني:

للعلماء في التمييز بين المكي و المدني ثلاثة آراء اصطلاحية، كل رأي منها على اعتبار خاص:

–الاول باعتبار زمن النزول: فالمكي ما نزل قبل الهجرة و إن كان بغير مكة. والمدني ما نزل بعد الهجرة و إن كان بغير المدينة.

[1] - الإتقان للسيوطي ج١ ص ٤٠

– الثاني: باعتبار مكان النزول: فالمكي ما نزل بمكة وما جاورها،كمنى وعرفات والحديبية. والمدني ما نزل بالمدينة و ما جاورها،كاحد و قباء و سلع.

–الثالث باعتبارا المخاطب: فالمكي ما كان خطابا لاهل مكة،و المدني ما كان خطابا لاهل المدينة([1]).

ثانيا–المكي والمدني عند الإمام السهيلي:

اورد المؤلف رحمه الله في"روضه"جملة من الآيات و السور،والتي نص على نوعها(مكية او مدنية). و في ما يلي نورد ما نص عليه بانه مكي:

١– السور والآيات المكية:

أ– سورة الأنعام: حيث أكد الإمام السهيلي على أن هذه السورة مكية باتفاق العلماء. قال رحمه الله: "ولا خلاف أن سورة الأنعام مكية"([2])

ب– "قل لا أجد فيما أوحب إلي على طاعم يطعمه"الآية([3]). وهي في سورة الأنعام. ومن تم فهي مكية كما صرح بذلك المؤلف([4]). وإنما ذكرنا هذه الآية مفردة، لأن هناك سورا مكية تتضمن آيات مدنية. والعكس.

ج–سورة الكوثر: ذكر المؤلف أن لاخلاف بين العلماء في أن هذه السورة مكية([5])

٢–السور والآيات المدنية:

أ–آية الوضوء، وهي قوله تعالى: "ياأيها الذين آمنوا إذا قمتم إلى الصلاة فاغسلوا وجوهكم وأيديكم إلى المرافق وامسحوا برءوسكم وأرجلكم إلى الكعبين. . "الآية ٧ من سورة المائدة. أورد المؤلف هذه الآية في معرض حدبثه عن تعليم جبريل عليه السلام للرسول صلى الله عليه وسلم الوضوء. قال رحمه الله –بعد إيراد حديث زيد بن حارثة رضي الله عنه". . . فالوضوء على هذا الحديث مكي بالفرض، مدني بالتلاوة، لأن آية الوضوء مدنية"([6])

---

[1] - مباحث في علوم القرآن لمناع القطان. ص٦١-٦٢.
[2] - الروض الأنف ج١ ص٥٢.
[3] - الآية ١٤٦ سورة الأنعام.
[4] - الروض الأنف ج٤ ص٥٨.
[5] - نفسه ج٢ ص١٤٤.
[6] - نفسه ج١ ص٢٨٤.

ب–سورة المائدة: ذكر أنها من آخر ما نزل، وذلك بعد أن عقب على قول ابن هشام، حين أشار إلى تحريم الخمر كان بمكة. يقول السهيلي معلقا: "وهذه غفلة من ابن هشام، ومن قال بقوله، فإن الناس مجمعون على أن الخمر لم ينزل تحريمها إلا بالمدينة، بعد أن مضت بدر وأحد. وحرمت في سورة المائدة، وهي من آخر ما نزل"([1]). على أن قول المؤلف بأن سورة المائدة من آخر ما نزل، ليس بالأمر المسلم به، وإن كان الترمذي والحاكم قد روياه عن غائشة رضي الله عنها. وقد أجيب عن ذلك بأن المراد أنها آخر سورة نزلت في الحلال والحرام، فلم تنسخ فيها أحكام([2]).

ثالثا: مكانة المكي والمدني واهتمام المؤلف به:

اعتبر العلماء علم المكي والمدني من أشرف علوم القرآن وأعظمها قدرا وأهمية. ومن تم اهتموا بهذا العلم من خلال إفرادهم له بالتأليف والتصنيف. إذ أفرده بالتأليف جماعة، منهم: مكي والعز الديريني، وجلال الدين السيوطي وغيرهم. إيمانا منهم بأن من فوائد معرفته: العلم بالمتأخر فيكون ناسخا أومخصصا. وفي هذا الصدد يقول أبو القاسم الحسن بن محمد بن حبيب النيسابوري: "من أشرف علوم القرآن علم نزوله وجهاته، وترتيب ما نزل بمكة والمدينة، وما نزل وحكمه مدني، وما نزل بالمدينة وحكمه مكي، وما نزل بمكة في أهل المدينة، وما نزل بالمدينة في أهل مكة(...) فهذه خمسة وعشرون وجها من لم يعرفها ويميز بينها لم يحل له أن يتكلم في كتاب الله تعالى"([3]).

ولئن كان لعلم المكي هذه الأهمية البالغة، فلا غرو أن يتطرق إليه المؤلف –رحمه الله– في" روضه"، رغم كونه لم يتناوله بشكل موسع على غرار علم التفسير، والناسخ والمنسوخ. . .

على أن الإمام السهيلي–ومن خلال حديثه عن المكي والمدني–أبان عن استيعابه لهذا العلم، وتمييزه للمكي من المدني بمعرفة زمن نزول كل سورة وآية. وما ينتج عن تلك المعرفة الشاملة من استنباطات واستنتاجات. وفي هذا الصدد يقول أبو القاسم: "تأملت الحديث"حين نزلت: "قل هوالقادر عللى أن يبعث عليكم عذابا من فوقكم([4]) فقال (صلى الله

---

[1] - الروض الأنف ج ٢ص١٣٦

[2] - انظر مباحث في علو م القرآن للقطان ص٧٠

[3] - الإتقان للسيوطي ج١ص١١

[4] - الآية ٦٦ سورة الأنعام

عليه وسلم): أعوذ بوجهك. فلما سمع: "أومن تحت أرجلكم". قال : أعوذ بوجهك. فلما سمع: "أويلبسكم شيعا ويذيق بعضكم بأس بعض". قال: هذه أهون ،فمن هنا-والله أعلم-أعيذت أمته من الأولى والثانية، ومنع الثالثة حين سألها بعد. وقد عرضت هذا الكلام على رجل من فقهاء زماننا. فقال: هذا حسن جدا. غير أنا لا ندري أكانت مسألته بعد نزول الآية أم لا؟فإن كان بعد نزول الآية فأخلق بهذا النظر أن يكون صحيحا. قلت: أليس في الموطأ أنه دعا بها في مسجد بني معاوية، وهو في المدينة، ولا خلاف أن سورة الأنعام مكية؟قال: نعم. وأذعن للحق وأقر به رحمه الله"([1]).

فانظر كيف وظف المؤلف علم المكي والمدني أحسن توظيف في الإستنباط والنظر.

المبحث الرابع: القراءات القرآنية:

١-تعريف:

القراءات جمع قراءة. وهي في اللغة مصدر سماعي ل"قرأ".

وفي الإصطلاح: مذهب يذهب إليه إمام من أئمة القراء مخالفا به غيره في النطق بالقرآن الكريم. وفي "منجد المقرئين لابن الجزري": "القراءات علم بكيفيات أداء كلمات القرآن واختلافها بعزو الناقلة"([2])

٢- **نشأة علم القراءات:**

[1] - الروض الأنف ج١ص٥١-٥٢

[2] - انظر مناهل العرفان للزرقاني ج١ص٢٢٧

يرجع عهد القراء الذين اقاموا الناس على طرائقهم في التلاوة إلى عهد الصحابة؛إذ اشتهر منهم أبي بن كعب،و علي بن ابي طالب،و زيد بن ثابت،وابن مسعود، وأبو موسى الأشعري. . . رضي الله عنهم أجمعين.، وعنهم أخذ كثير من الصحابة والتابعين في الأمصار، وكلهم يسند القرأءة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم.

وفي عهد التابعين–وتحديدا على رأس المائة الأولى–تجرد قوم بضبط القراءة عناية تامة، وجعلوها علما قائما بذاته. وصارواأئمة في هذا الشأن، واشتهر منهم الأئمة السبعة الذين تنسب إليهم القراءات وهم: نافع، وأبوعمرو، وعاصم، وحمزة، والكسائي وابن عامر وابن كثير.

قراءات هؤلاء هي المتفق عليها. والتي أثبتها واقتصر عليها أبوبكر بن مجاهد. واختار العلماء أيضا من أئمة القراءة غيرهم ثلاثة صحت قراءاتهم وتواترت، وهم: أبوجعفريزيد بن القعقاع، ويعقوب بن إسحاق الحضرمي، وخلف بن هشام. وهؤلاء وأوائك هم أصحاب القراءات العشر. وماعداها فشاذ. كقراءة: اليزيدي، والشنبوذي، والحسن البصري. . .

٣–القراءات في "الروض الأنف":

يلاحظ على المادة القرائية التي تم جمعها من "الروض الأنف" أنها متنوعة ومتعددة. وهكذا تضمنت القراءات السبع والعشر والأربع عشر. كما تم إيراد العديد من الأعلام البارزين في هذا العلم، من الصحابة الكرام (كابن مسعود، وابن عباس، وحفصة، وعائشة، وأبي بن كعب رضي الله عنهم أجمعين) والتابعين (كمجاهد والأعمش والشعبي وعطاء وأيوب بن أبي تميمة السختياني([1])...) فضلا عن أئمة هذا الشأن المشهورين.

أ– بواعث إيراد المؤلف للقراءات القرآنية:

لعل من الدوافع التي دعت المؤلف إلى إيراد المادة القرائية في "روضه" تتمثل في اتخاذها (المادة القرائية)حجة ودليلا يعضد بها مذهبه وآراءه في **مجالات ثلاثة**، وهي:

[1] - مجاهد بن جبر. تابعي،مفسر. قال عنه الذهبي:شيخ القراء والمفسرين. أخذ التفسير عن ابن عباس. توفي ١٠٤هـ
- الأعمش:سليمان بن مهران. تابعي مشهور. كان عالما بالقرآن والحديث والفرائض. قال عنه الذهبي:كان رأسا في العلم النافع والعمل الصالح. توفي ١٤٨ه
- الشعبي:عامر بن شراحيل. راوية من التابعين. يضرب به المثل في الحفظ. ولد سنة١٩ه وتوفي١٠٣ه
- عطاء:عطاء بن أبي رباح. تابعي. حدث عن عائشة وأم سلمة وأبي هريرة وابن عباس وغيرهم. توفي حوالي ١١٤ه
- السختياني:أيوب بن أبي تميمة. تابعي . سيد فقهاء عصره. من النساك الزهاد. توفي ١٣١ه

المجال الأول: اللغة: وتكاد القضايا اللغوية تشكل الدافع الأكبر للمؤلف على إيراد القراءات القرآنية، ذلك أن السهيلي يتخذ هذه الأخيرة حَكما لقبول أو رد أية قضية نحوية لغوية. فيحكم بالصحة لكلمة أوتركيب معين، لوجود شاهد له من القراءة الصحيحة المعتبرة، أو يحكم عليه بالضعف لانتفاء ذلك. ومما يجسد مجال اللغة: ماذكره المؤلف في معرض ترجمته ل(قصي بن كلاب) إذ قال: "وصغر على فعيل، لأنهم كرهوا اجتماع ثلاث ياءات، فحذفوا إحداهن وهي الياء الزائدة الثانية(...) فقد جاء ما هو أبلغ في الحذف من هذا. وهي قراءة قنبل([1]) "يابني" ببقاء ياء التصغير وحدها. وأما قراءة حفص(*) فإنما هي ياء التصغير مع ياء المتكلم، ولام الفعل محذوفة. فكأن وزنه "فعي". ومن كسر الياء قال "يا بني" فوزنه فعيل، وياء المتكلم هي المحذوفة في هذه القراءة"([2]).

هكذا أورد المؤلف قراءتي"قنبل وحفص"للإستشهاد، مما يدل–من دون شك–على تمكن ومعرفة واسعة بقضايا علم القراءات، فضلا عن اللغة إذ هو فارس ذلك الميدان.

ولئن كانت اللغة–بشكل عام–هي الباعث الأكبر على إيراد القراءات القرآنية، فإن علم الصرف–تحديدا–هو الذي يلجأ فيه المؤلف– لتعضيد وتأكيد صحة آرائه واستنباطاته فيه– إلى علم القراءات. يتضح ذلك جليا عند إيراده قوله عزوجل"لإيلاف قريش"([3]) وتوقفه عند كلمة"إيلاف"، إذ ذكرأن "معنى يؤالف: يعاهد ويصالح، ونحوهذا. فيكون الفعل منه أيضاآلف، على وزن فاعل، والمصدر إلافا بغير ياء. مثل: قتالا. ويكون الفعل منه أيضا آلف على وزن أفعل، مثل آمن، ويكون المصدرإيلافا بالياء، مثل إيمانا. وقد قرئ"لإلاف قريش"بغير ياء. ولوكان من آلفت الشيء على وزن أفعلت إذا ألفته لم تكن هذه القراءة صحيحة، وقد قرأها ابن عامر"(*)([4]) آلف–حسب المؤلف–لها وزنان: أفعل وفاعل. الأول مصدره إيلاف

---

[1] - قنبل:محمد بن عبد الرحمن المخزومي. مقرئ أهل مكة. جود القراءة على أبي الحسن القواس. وأخذ أيضا عن البزي. تي ٢٩١هـ

[*] - حفص:أبوعمر عفص بن سليمان البزاز. قرأعلى عاصم. وهوراو له. توي١٨٠

[*] - ابن عامر:عبدالله اليحصبي. أخذ القراءة عن المغيرة بنأبي شهاب المخزومي. وهومقرئ مشهور. من أصحاب القراءات السبع. توفي ١١٨ه

[2] - الروض ج١ص٨

[3] - الآية١سورةقريش

[4] - الروض ج١ص٧٦

بالياء، والثاني مصدره إللف بغير ياء. والمصدر الأول تعضده قراءة الجمهور، والثاني استدل له بقراءة ابن عامر. وهوأحد القراء السبعة المتفق على صحة قراءتهم([1])

المجال الثاني: الفقه:

يتناول المؤلف بعض القضايا الفقهية المستنبطة من القراءات القرآنية. وهكذا ذهب إلى أن الأبناء المسلمين الذين كان آباؤهم كفارا لايرثهم آباؤهم كفارا،لا يرثهم آباؤهم،و لا يريثون آباءهم،يقول رحمه الله متحدثا عن العاصي بن وائل: "فالعاصي بن وائل و إن كان ذا ولد،فإن الإسلام قد حجزهم عنه،فلا يرثهم و لا يرثونه،و هم من اتباع محمد صلى الله عليه و سلم، وازواجه امهاتهم و هو اب لهم،كما قرأ أبي بن كعب: "و أزواجه أمهاتهم و هو أب لهم و النبي أولى بهم"([2])"([3])، فاستنبط حكما فقهيا انطلاقا من قراءة أُبي رضي الله عنه. و لا ريب أن إلمام المؤلف بعلم القراءات أعانه على إستنباط كثير من الأحكام الشرعية.

المجال الثالث التفسير: قد تكون للآية معان عدة،كل معنى يترتب عنه حكم شرعي معين، لكن يبقى المعنى الذي وجد له دليل وشاهد من القراءات راجحا دون غيره. من ذلك: ماعقب به المؤلف على قوله عزوجل: "ولبثوا في كهفهم"([4]) قائلا: "وقدفسر، فقيل معناه: أي فسيقولون ذلك. وهوأحد التأويلات فيها، وعلى هذا القول قراءة ابن مسعود"وقالوا لبثوا" بزيادة (قالوا)([5]) عنه نموذجا- معينة على تفسير كتاب بل إن المؤلف صرح بأن قراءات بعض الصحابة-عبد الله بن مسعود رضي الله الله نموذجا-معينة على تفسير كتاب الله، لما تتضضمنه من الألفاظ الزائدة والمبينة للمعنلى المقصود. يقول رحمه الله في هذا الصدد: "تبت يدا أبي لهب وقد تب"([6]) هكذا قرأ مجاهد والأعمش، وهي -والله أعلم-قراءة مأخوذة عن ابن مسعود، لأن في قراءة ابن مسعود ألفاظا كثيرة تعين على التفسير. قال مجاهد: لو كنت قرأت قراءة ابن مسعود، قبل أن أسأل ابن عباس، ما احتجت أن أساله عن كثير مما

[1] - للمزيد من الأمثلة. انظر الروض:ج٢ص١٠-١١ لتتجلى لك هذه النظرة التكاملية بين علمي اللغة القراءات لدى المؤلف.
[2] - الآية ٦ سورة الأحزاب
[3] - الروض الأنف ج٢ ص١٤٥
[4] - الآية٢٥ سورة الكهف
[5] - الروض ج٢ص٥٧
[6] - الآية ١سورة المسد

سألته([1]) فاتضح كذلك أن السهيلي كان يرى أن من الأدوات المهمة للمفسر: القراءات القرآنية.

ب-بين الأصول والفرش:

تناول المؤلف مسائل وقضايا ترتبط بأصول القراءات، وأخرى-وهي الغالبة-مرتبطة بالفرش.

فمما هو مرتبط بالأصول: هاء السكت. وقد تناولها المؤلف إثر تعليقه على قول ورقة بن نوفل: "لتكذبنه، ولتؤذينه". قال: ولا ينطق بهذه الهاء إلا ساكنة، لأنها هاء السكت، وليست بهاء إضمار"([2]).

كما تناول-ضمن الأصول-هاء الضمير. التي تثبت إذا كان قبلهامتحرك، نحو(به) و(له) . وإن كان ما قبل الهاء ساكنا نحو: (فيه) و(بنيه) كان الحذف أحسن من الإثبات. قال-رادا على افتراض محتمل: "فإن قلت : فقد قرأعيسى بن مينا([3]) (نصله) و(يوده) و(أرجه)، ونحو ذلك في اثني عشر موضعا بحذف الياء، وقبل الهاء متحرك فكيف حسن هنا؟. قلنا: إن ما قبل(نصله، يوده، ويؤتيه)، ولكنه جذف للجازم. فمن نظرإلى اللفظ، وأن ما قبل الهاء متحرك، أثبت الياء، كما أثبتها في (به) و(له). ومن نظر إلى الكلمة قبل دخول الجازم، رأى ما قبل الهاء ساكنا، فحذف الياء. فهما وجهان حسنان"([4]).

ج-الشاذ عند المؤلف:

المطالع لكتاب "الروض الأنف"يصادف أمثلة للقراءات الشاذة. مما يطرح في الذهن عدة تساؤلات: ما الداعي إلى إيراد شواذ القراءات؟هل المؤلف لا يعتبر تلك القراءات شاذة فعلا؟مل ضوابط الشاذ عند المؤلف؟وغيرها من التساؤلات.

من أمثلة القراءات الشاذة الواردة في الكتاب: ماذكره المؤلف عند حديثه عن قوله تعالى: "حصب جهنم"([5])قائلا: "هومن باب القبض والنفض. والحصب بسكون الصاد

---

[1] - الروض ج٢ ص١٠٩

[2] - الروض الأنف، ج١ص٢٧٣

[3]* - عيسى بن مينا الملقب ب"قالون". قرأعلى نافع. وهو له راو. توفي ٢٢٠ه

[4] - الروض ج١ص٢٠٢

[5] - الآية٩٧سولرة الأنبياء

كالقبض والنفض. ومنه الحاصب في قوله سبحانه: "أن يرسل عليكم حاصبا"([1]) ويروى "حضب جهنم" بصاد معجمة في **شواذ القراءات**.([2])

فاستعماله صيغة التمريض(يروى) التي تنطوي على جهل بالسند، وإشارته إلى أن (الحصب) بالصاد المهملة من باب النفض والقبض. وأن (الحضب) بالصاد المعجمة شاذ في القراءات، دليل على مخالفة هذا الفظ لصحيح العربية، وإن كان سيدو أن لفظ(الحضب)غير مخالف للرسم العثماني. ذلك أن شروط القراءة المعتبرة عند العلماء تتمثل في ثلاثة:([3])، وهي: ١-صحة السند ٢-موافقة العربية ٣-موافقة الرسم العثماني.

واختلال أي شرط من هذه الشروط في أية قراءة تصبح شاذة. والمثال الذي أورده الإمام السهيلي يلاحظ أنه قد اختلت فيه الشروط السالفة كلا أو بعضا. ومن تم حكم عليها بالشذوذ. مما يعلم منه أن المفهوم الذي يقدمه العلماء للشاذ هو نفسه الذي قدمه له السهيلي.

أما عن الداعي إلى إيراد الشاذ من القراءات عند المؤلف، فيبدو أن المسألة تتعلق بفوائد لغوية تتضمنها تلك القراءات. إذأن الشاذ من القراءات لا تجوزالقراءة به، فضلا عن العمل به.

أورد المؤلف قراءة "ابن محيصن"([4]): "ويشهد الله على مافي قلبه وهو ألد الخصام"([5]). بفتح الياء والهاء، ورفع الهاء من اسم الله تعالى. أي: ويعلم الله ما في قلبه"([6]) قلبه"([6]) وذلك عند حديثه عن معنى "الألد".

فمعلوم أن "ابن محيصن"هو أحد القراء الأربعة عشر الذين لم تصح قراءتهم عند العلماء فهي قراءة غير معتبرة، لافتقادها إلى الشروط السابق ذكرها كلا أوبعضا. لكن-وكما سبقت الإشارة-إيرادها كان لما تتضمنه من فوائد لغوية. وهذا ما جسده المؤلف في أكثر من مناسبة. من ذلك: ما علق به على قول حسان بن ثابت:

ما البحر حين تهب الريح شامية***فيغطئل ويرمى العبر بالزبد.

---

[1] - الآية١٧سورة الملك
[2] - الروض ج٢ص١١٦
[3] - انظر مناهل العرفان ج١ ص٢٣٠
[4] - محمد بن عبد الرحمن السهمي. مقرئ مشهور. من أصحاب القراءات الأربع عشرة. توفي١٢٣ه
[5] - الآية٢٠٢ سورة البقرة
[6] - الروض ج٣ص٢٣٦

قال: "أصل هذه (فيغطئل)من الغيطلة وهي الظلمة، وأصلها يغطال، مثل: يسواد، لكنه همز بالألف، لئلا يجتمع ساكنان، وإن كان اجتماعهما في هذا الموضع حسنا، كقوله تبارك وتعالى: "ولا الضالين(...). ومع هذا فقد قرأ أيوب بن أبي تميمة السختياني(ولا الضألين) بهمز مفتوحة. وقرأعمرو بن عبيد([1]):"إنس قبلهم ولاجان"([2])([3]).

اتضح من النص أن المؤلف رام من إيراد هذه القراءة–رغم عدم اعتبارها–بيان جوازهمز الألف الساكنة في (يغطال) وعدمه. مستندا إلى هذه القراءة، والتي –ربما– اختل فيها شرط صحة السند، لكن شرط موافقة العربية ثابت كما يبدو.

ما يفهم من هذا النص كذلك أن المؤلف–رحمه الله–أراد أن يبين على أن القراءة غير المعتبرة–وإن لم تصلح للقراءة والتعبد–فهي صالحة للإستدلال على لفظ أوتركيب في اللغة. باغتبارأن شرط موافقة العربية–غالبا–ما يكون واردا فيها.

د–**<u>أثر اختلاف القراءات عند السهيلي</u>:**

لاختلاف القراءات آثار في اختلاف الأحكام الشرعية، وفي المعاني و الدلالات. وقد أكد المؤلف على هذه الحقيقة في أكثر من موضع.

فعن اختلاف الأحكام الشرعية، أورد المؤلف عدة أمثلة تجسد أثر اختلاف القراءات في اختلاف الأحكام. منها: ما ذكره بصدد حديثه عن حكم العمرة–أنها واجبة في قول أكثر العلماء، وأن الشعبي يرى عدم وجوبها. وأنه كان يقرأ: "وأتموا الحج والعمرة لله([4]) برفع لفظ العمرة لايعطفها على الحج"([5]). فانظر كيف اختلف الحكمان نتيجة اختلاف القراءتين. فالجمهور الذي قرأ: "وأتموا الحج والعمرة لله"بعطف العمرة على الحج، كان يرى وجوب العمرة. بينما الشعبي لا يعطف العمرة على الحج، مما جعله يرى عدم وجوبها. وكأني بالمؤلف –هنا–رام –من وراء إيراد هذا المثال وغيره– بيان أثر اختلاف القراءات في اختلاف الأحكام، وأنها قضية تستحق الإهتمام، بل تقتضيه.

وعن اختلاف المعاني والدلالات نتيجة اختلاف القراءات. أورد المؤلف أمثلة لذلك. منها:

---

[1] - شيخ المعتزلة في عصره. ولد سنة ٨٠. وتوفي ١٤٤هـ

[2] - الآية ٥٥ سورة الرحمن

[3] - الروض الأنف ج٤ص٢١-٢٢

[4] - الآية ١٩٥ سورة البقرة

[5] - الروض ج٤ص٧٧

ما تعقب به قوله عزوجل: "ترونهم مثليهم رأي العين"([1]) قائلا: "فمن قرأه(يرونهم) بالياء، فمعناه: أن الكفار يرون المومنين مثليهم، وإن كانوا أقل منهم. لما كثرهم بالملائكة(...) وأما من قرأها بالتاء، فيجوز أن يكون الخطاب لليهود. أي: ترون المشركين يوم بدر مثلي المومنين([2]). وهكذا اختلفت المعاني، جراء اجتلاف القراءتين. فالقراءة بالياء(يرونهم) ترتب عنها حكم مغاير للقراءة بالتاء(ترونهم).

ومن الامثلة أيضا: إيراده قوله تعالى: "زما كان لنبي أن يغل"([3]) فقال: "ومن قرأ (يغل) بضم الياء وفتح الغين، فمعناه أن يلقى غالا"هذا بعد أن ذكرأن أكثر المفسرين يقولون أن الآية نزلت في الغلول، وأنه ورد في بعض الآثار أنهم فقدوا قطيفة من المغنم. فقال قائل: لعل النبي صلى الله عليه وسلم أخذها. فنزلت الآية([4]). فقراءة(يغل) بفتح الياء وضم الغين تفيجد أن النبي صلى الله عليه وسلم ما ينبغي له أن يكون غالا. إذ هو منزه عن ذلك. وقراءة (يغل) بضم الياء وفتح الغين، تفيد –كما قال المؤلف–أن يلقى غالا. فتغير المعنى لتغير القراءة.

٣- **<u>مصادر المؤلف في القراءة:</u>**

كما جرت عادة المؤلف في المباحث السابقة لعلوم القرآن، نلاحظ أنه يشير إلى المصادر التي استقى منها المادة. لكنه لم يشر إلى أي مصدر في هذا العلم. مما يدل–من دون شك–على أنه عالم بهذا الشأن، وذو باع طويل فيه. يتجلى ذلك في استيعابه الجيد للمادة القرائية، فضلا عن توجيهه لها. وذلك أمر شهد له به مترجموه. –كما سبقت الإشارة إلى ذلك.

المادة القرائية –عموما–في الروض تتسم بالتنوع. وهكذا نجد القراءة المعتبرة وغير المعتبرة، فضلا عن قراءات الصحابة (كابن مسعود، وأبي بن كعب وحفصة، وعائشة رضوان الله عليهم)، وقراءات التابعين (كالشعبي وأيوب السختياني ومجاهد والأعمش وغيرهم) علاوة على قراءات أئمة هذا الشأن.

---

[1] - الآية ١٣ سورة آل عمران
[2] - الروض ج٢ص٢٩٦
[3] - الآية ١٦١ سورة آل عمران
[4] - الروض ج٣ص ١٩٤.

بقي أن نشير إلى أن الجانب اللغوي–الصرف تحديدا– كان من أهم الدواعي إللإيراد المادة القرائية. وكأني بالمؤلف يريد أن يلفت الإنتباه إلى هذه العلاقة التكاملية القائمة بين القراءة المعتبرة واللغة. بل إنه ليتخذ الأولى أداةل"التحاكم". أي ينبغي أن يتحاكم إليها اللغويون والنحويون في "نقد"القضايا الغوية. باعتبار أن القراءة المعتبرة تمتلك المقومات التي من خلالها تضفي على اللغة أحكام التصحيح والتضعيف. إن القراءة المعتبرة–في نظر السهيلي–معيار التصحيح والتضعيف للقضايا اللغوية.

المبحث الخامس: إعراب القرآن:

١– تقديم:

علم إعراب القرآن من بين أهم علوم القرآن. لما له من فوائد جمة في التعرف على معاني القرآن. وقد"أفرده بالتصنيف جلائق، منهم: مكي وكتابه في المشكل خاصة، والحوفي وهو أوضحها، وأبو البقاء العكبري، وهوأشهرها، والسمين، وهوأجلها على ما فيها من حشو وتطويل، ولخصه السفاقسي. فحرره، وتفسيرأبي حيان مشحون بذلك"([1])، لأن أهميته تكمن في معرفة المعاني، إذ أن الإعراب يميز المعاني، ويوقف على أغراض المتكلمين. ومن هنا حث السلف على ضرورة الإقبال على تعلم اللغة العربية(نحوا وصرفا وبلاغة...) باعتبارها الوسيلة الوحيدة لفهم معاني كتاب الله عزوجل. "أخرج أبو عبيد في فضائله عن عمر بن الخطاب(رضي الله عنه) قال: تعلموا اللحن والفرائض والسنن كما تعلموا القرآن. وأخرج عن يحيى بن عتيق. قال: قلت للحسن(البصري): يا أبي سعيد: الرجل

[1] - الإتقان للسيوطي ج١ص٢٣٥

يتعلم العربية يلتمس بها حسن المنطق، ويقيم بها قراءته؟قال: حسن يا ابن أخي. فتعلمها، فإن الرجل يقرأ الآية فيعيى بوجهها فيهلك فيها"([1])

٢-إعراب القرآن في "الروض الأنف":

لماكان علم إعراب القرآن له هذه المكانة المتميزة بين علوم القرآن، فضلا عن أهميته وفائدته الجليلة في التوصل إلى معاني القرآن، فلا غرو أن يضمنه المؤلف كتابه، وأن يتناوله في مواضع شتى من مؤلفه.كيف لا وقد وُصف بالبراعة في العربية واللغة وعلومها؟بل إن الإمام جلال الدين السيوطي وصف السهيلي بأنه"كان إماما في لسان العرب"([2]).

أما منهج المؤلف رحمه الله في إعراب القرآن، فبتمثل في تعقب الآية أو الآيات التي سبق لابن إسحاق أن أوردها. فيتحدث عنها من الناحية الإعرابية، كلمة كلمة. قال المؤلف: "وذكر(ابن إسحاق) قوله تعالى: "وكأين من نبي قتل([3])معه ربيون كثير"([4]). ارتفع (ربيون)على تفسير ابن إسحاق بالإبتداء. والجماة في موضع الحال من الضمير في (قتل). وهذا أصح التفسيرين، لأنه قال: "فما وهنوا لما أصابهم"ولوكانوا هم المقتولين ما قال فيهم(ماوهنوا لما أصابهم)أي: ما ضعفوا. وفد يخرج أيضا قول من قال: ربيون: مفعول لم يسم فاعله ب(قتل)على أن يكون معنى قوله(فما وهنوا)أي: ما وهن الباقون منهم لما أصيبوا به من قتل إخوانهم. . "([5]). هكذا يمزج الإعراب بالتفسير، باعتبار أن معنى الآية يتغير بتغير الموقع الإعرابي لها.

والمؤلف –في هذا الصدد لا يكتفي بإعراب الآيةأو الآيات فحسب، بل إنه يورد أقوال أئمة اللغة وفطاحل العربية، في المسائل الإعرابية. قال في إعراب (لما آتيتكم) من قوله تعالى: "وإذأخذ الله ميثاق النبيئين لما آتيتكم من كتاب وحكمة"([6]). (ما) في هذه الآية اسم مبتدأ بمعنى الذي. والتقدير: للذي آتيناكم من كتاب وحكمة. ولا يصح أن تكون في موضع

---

[1] - الإتقان للسيوطي ج١ص٢٣٥

[2] - انظر طبقات الحفاظ للسيوطي ص٤٧٩

[3] - هذه الكلمة كتبت على ما يوافق قراءة نافع. بضم القاف وكسر التاء. على أن الآيات القرآنية كله في :الروض"كان رسمها على ما يوافق قراءة عاصم.

[4] - الآية١٤٦ سورة آل عمران.

[5] - الروض ج٣ص١٩٤

[6] - الآية ٨٠ سورة آل عمران

* - سيبويه:عمرو بن عثمان. إمام النحاة،وأول من بسط علم النحو. له"الكتاب"في النحو. توفي ١٨٠هـ

* - الخليل:الخليل بن أحمد الفراهيدي. من أئمة اللغة والأدب. واضع علم العروض. له "العين"في اللعة. توفي ١٧٠هـ

نصب على إضمار فعل، كما ينتصب ما يشتغل عنه الفعل بضميره. لأن ما بعد اللام الثانية لايجوز أن يعمل فيما قبلها. وما لايجوزأن يعمل فيه ما قبله، فلا يجوزأن يكون تفسيرا لما يعمل فيه. وقدقيل: إن (ما)هذه شرط. والتقدير: لمهما آتيتكم من كتاب وحكمة لتؤمنن به. وهوظاهر قول سيبويه(*)، لأنه جعلها بمنزلة إن. وقول الخليل(*): إنها بمنزلة الذي. أي إنها اسم لا حرف(. .). وقدلاح لي بعد نظري" الكتاب" أن الذي قاله الخليل وسيبويه قول واحد. غيرأنه قال: ودخول اللام على(ما) كدخولها على(إن). يعني في الجزاء([1]).

ثم إن الإما م السهيلي لا يكتفي بإيراد أقوال أئمة النحوو اللغة. بل يذهب إلى مناقشة أقوالهم، وتصحيح ما صح منها، أوبيان وهم أصحابها. من ذلك: ماذكره عند إعرابه قوله تعالى: "لنعلم أي الحزبين أحصى لما لبثوا أمدا"([2]). قال: "قد أملينا في إعراب هذه الآية نحوا من كراسة. وذكرنا ما وهم فيه الزجاج([3]) من إعرابها. حيث جعل(أحصى) اسما في موضع رفع على خبر المبتدإ. و (أمدا) تمييزه. وهذا لايصح، لأن التمييز هوالفاعل في النعنى. فإذا قلت: أيهم أعلم أبا. فالأب هوالعالم. فيلزم على قوله إذا أن يكون(الأمد)فاعلا بالإحصاء. وهذا محال. بل هو مفعول، و(أحصى) فعل ماض. وهو الناصب له. وذكرنا في الإملاء أن (أيهم) قد يجوز فيه النصب بما قبله، إذا جعلته خبرا([4]). وفي هذه الفقرة نستخلص مايلي:

-قوله: "قد أملينا في إعراب هذه الآية نحوا من كراسة"ينم عن تضلع المؤلف -رحمه الله-في علم اللغة والنحو، واستيعابه الواسع لمذاهب الأئمة الكبار، وفطاحل اللغة. فانظر كيف صنف"كراسة"في إعراب آية واحدة!

-قوله: "وذكرنا ماوهم فيه الزجاج" يدل على أن السهيلي لم يكن ناقلا لأقوال النحاة، وأهل اللغة في قضايا إعراب القرآن فحسب. بل إنه كان يتتبع تلك الأقوال بالنقد زالتمحيص والتصحيح والتضعيف. وإن أوضح المؤلف وهم الزجاج -مع جلالة قدره وعلو منزلته في هذا الشأن-فإنما يدل ذلك عن تبحره الواسع في هذا العلم. ويصدق كذلك ويؤكد ما وصفه به أصحاب التراجم ب "العلامة النحوي. والإمام في لسان العرب"

---

[1] - الروض ج ١ص ٢٦٥-٢٦٦

[2] - الآية ١٢ سورة الكهف.

[3] -الزجاج:ابراهيم بن السري بن سهل. عالم بالنحو واللغة. كانت له مع ثعلب مناقشات. له"الإشتقاق. معاني القرآن. . "توفي٣١١ه

[4] - الروض ج٢ ص١٥٤

-قوله"(...) وهذا لايصح لأن(...) "يؤكد ما سبقت الإشارة إليه من نقده وتمحيصه لآراء النحاة. إذ بين عدم صحة ما ذهب إليه الزجاج، معللا كلامه، مبينا أسباب ضعف قوله.

ومن بين الأمثلة التي تجلي استيعاب المؤلف للآراء والمذاهب اللغوية والنحوية، ورؤيته النقدية لها: ما أشار إليه عند إعراب قوله تعالى: "كيف نكلم من كان في المهد صبيا"([1]) من أن النحاة"اضطربوا في إعرابها. وتقديرها: لما كانت(من) بمعنى الذي، وجاء ب (كان) على لفظ الماضي...([2])

٣-مصادر المؤلف في إعراب القرآن:

سبقت الإشارة إلى أن المؤلف خلال إعرابه للآيات التي أوردها في "روضه" يشيرإلى بعض المصنفات اللغوية التي يقتبس منها آراء أصحابها. ك"الكتاب" لسيبويه([3])، و"ومسائل أبي علي الفارسي"([4])([5]). . لكن لم تكن غاية السهيلي الإقتباس لذاته. بل إنه ينطلق من تلك الآراء قصد مناقشتها وتمحيصها والحكم عليها، ومقارنتها بالآراء الأخرى.

ولعلي-هنا-لا أكون مبالغا إذا قلت إن المؤلف- رحمه الله- قد امتلك الإستقلالية التامة في مجال إعراب القرآن، على غرار علوم القرآن الأخرى. وحسبي أن أستدل على هذا الأمر، بما تعقب به كلام أبي علي الفارسي من أن (أولى)في قوله تعالى: "أولى لك فأولى"([6]) اسم علم، ولذلك لم ينصرف. يقول: وجدت هذا في بعض مسائله(الفارسي). ولا تتضح لي العلمية في هذه الكلمة. وإنما هو عندي كلام حذف منه. . "([7]). فالعندية-هنا-هنا-تفيد استقلالية المؤلف. كما يمكن الإستدلال بها على كونه يمثل مدرسة قائمة بذاتها في علوم اللغة والنحو. شأنه في ذلك شأن علماء اللغة والنحاة. وهو الأمر الذي أكده علماء التراجم والسير عند ترجمتهم لأبي القاسم السهيلي.

---

[1] - الآية٢٨ سورة مريم.
[2] - الروض الأنف ج٢ص١١٧
[3] - الروض الأنف، ج١ص٢٦٦
[4] - الفارسي:أبوعلي. الحسن بن أحمد. أحد الأئمة في علم العربية. له"الإيضاح"و"التذكرة"توفي ٣٧٧ه
[5] - الروض الأنف، ج٤ص٦٤
[6] - الآية ٣٤ سورة القيامة
[7] - نفس المصدر السابق ونفس الصفحة.

المبحث السادس: إعجاز القرآن:

١-مفهوم الإعجاز:

الإعجاز: إثبات العجز، والعجز: اسم للقصور عن الشيء، وهوضد القدرة، واذا ثبت الاعجاز ظهرت قدرة المعجز، والمراد بالاعجاز هنا اظهار صدق النبي صلى الله عليه وسلم في دعوى الرسالة باظهار عجز العرب عن معارضته في معجزته الخالدة- وهي القرآن- وعجز الاجيال بعدهم. ([1])

ولقي اعجاز القرآن-لاهميته وضرورته- اهتماما بالغا من طرف العلماء قديما و حديثا، اذ افرد بالتصنيف خلائق، منهم الخطابي و الرماني والزملكاني والامام الرازي وابن سراقة والقاضي ابو بكر الباقلاني، ([2]).

٢-اوجه الاعجاز عند الامام السهيلي

خاض العلماء في وجوه اعجاز القرآن الكريم، و فصلوا فيها القول ما بين مفصل ومجمل. ولا شك ان منها ما يتعلق باسلوب القرآن وطريقة تاليفه، ومنها ما يتعلق بالاخبار عن الامور الغيبية. . .

[1] - مباحث في علوم القرآن القطان ص٢٥٨-٢٥٩

[2] - انظر الإتقان للسيوطي ج٢ص١٤٨.

وعند امعان النظر فيها ورد في "الروض الانف" من الحديث حول موضوع اعجاز القرآن، نلاحظ ان المؤلف–رحمه الله–انتصر في حديثه عن اوجه اعجاز القرآن على الوجه المتعلق باسلوب القرآن و طريقة تاليفه وبلاغته(الاعجاز اللغوي/البلاغي) وهذا الوجه هو المهيمن على كلام المؤلف في هذا الموضوع. وقد ذكر القاضي ابو بكر الباقلاني ان بديع النظم منه ما يرجع الى الجملة، ومنه ما يرجع الى الكلمة. ([1])

ومما يتعلق بالمفردات، أورد المؤلف (في جيدها) من قوله تعالى:" وامرأته حمالة الحطب في جيدها حبل من مسد"([2]) واشار الى علة قوله عز وجل(في جيدها) تحديدا. يقول في هذا الصدد. وقوله" في جيدها" ولم يقل في عنقها. والمعروف ان يذكر العنق اذا ذكر الغل الصفع– كما قال تعالى " انا جعلنا في اعناقهم اغلالا" ويذكر الجيد اذا ذكر العلي او الحسن، فانما حسن ههنا ذكر الجيد في حكم البلاغة لانها امراتو والنساء تحلي اجيادهن، و(ام جميل) وهي امراة ابي لهب) لا حلي لها في الاخرة، الا الحبل المجعول في عنقها، فلما اقيم لها ذلك مقام الحلي، وذكر الجيد معه فتأمله، فإنه معنى لطيف. ([3]). وفي نفس السورة(سورة المسد) أورد كلاما لطيفا حول قوله تعالى: "وامرأته حمالة الحطب" على شاكلة حديثه عن(في جيدها). يقول رحمه الله: "وانظر كيف قال"وامرأته"ولم يقل "وزوجه"، لأنها ليست بزوج له في الآخرة، ولأن التزويج حلية شرعية، وهومن أمر الدين، يجردها من هذه الصفة كما جرد امرأةنوح وامرأة لوط. فلم يقل زوج نوح . وقد قال لآدم: "اسكن أنت وزوجك الجنة"([4]) وقال لنبيه عليه السلام: "قل لأزواجك". وقال: "وأزواجه أمهاتهم"إلا أن يكون مساق الكلام في ذكر الولادة والحمل ونحوذلك، فيكون حينئذ لفظ المرأةلائقا بذلك الموطن"([5]) وهذه القضايا التي أشارأبو القاسم السهيلي إلى سر إعجازها قد يخفى على القارئ مكمن ا لإعجاز فيها، ويحسبها مفردات"عادية"تنتظم وأخواتها في تأليف آي الكتاب العزيز.

---

[1] - انظر: إعجاز القرآن للباقلاني ص٦٣. مطبوع بهامش الإتقان.
[2] - الآيتان ٤-٥ سورة المسد.
[3] - الروض الأنف ج ٢ص١١٣.
[4] - الآية ٣٤ سورة البقرة.
[5] - الروض الأنف ج٢ص١١٣.

ومما يتعلق بالجمل(التركيب) ما أورده من قوله تعالى: "ومنهم من يستمعون إليك، أفأنت تسمع الصم"([1]) قائلا: "ألا ترى كيف جمع(يستمعون)والحمل على اللفظ إذا قرب منه أحسن؟ألا ترى إلى قوله سبحانه: "ومن يسلم وجهه إلى الله" فأفرد حملا على لفظ(من). وقال في آخر الآية: "ولاخوف عليهم"فجمع حملا على المعنى لما بعد عن اللفظ، وهكذا كان القياس في فوله: "ومنهم من يستمعون". ولكن لما كانوا جماعة، ونزلت الآية فيهم بأعيانهم صار المعنى(ومنهم نفر يستمعون) يعني أولئك النفر، وهم: أبوجهل، وأبو سفيان، والأخنس بن شريق. ألاترى كيف قال بعد"ومنهم من ينظر إليك"؟فأفرد حملا على اللفظ لارتفاع السبب المتقدم، والله أعلم"([2])

الجدير بالإشارة، أن الإمام السيوطي وصف المؤلف–أثناء تلرجمته له–بأنه"صاحب استنباطات"([3]) والنصوص السابقة التي أوردناها للمؤلف توضح بجلاء هذه الإستنباطات العجيبة، التي تبرو–بدورها–إعجاز كتاب الله عزوجل. ومن بين تلك الإستنباطات: ماأورده أثناء حديثه عن(بني إسراءيل)، إذذكر أن إسراءيل هو يعقوب. وأوضح الحكمة من كونهم ينادون بالأسم الأول دون الثاني. يقول بهذا الصدد: "بنو إسراءيل هم بنو يعقوب. وكان يسمى إسراءيل: أي: سرى الله. لكن لم يذكروا في القراءة، إلا إذا أضيفوا إلى إسراءيل. ولم يسموا فيه بنو يعقوب. ومتى ذكر إبراهيم وإسحاق ويعقوب لم يسم إسراءيل، وذلك لحكمة فرقانية، وهو أن القوم لما خوطبوا بعبادة الله، وذكروا بدين أسلافهم موعظة لهم، وتنبيها من غفلتهم، سموا بالإسم الذي فيه تذكرة(لهم) بالله. فإن إسراءيل اسم مضاف إلى الله تعالى في التأويل(...) فكان ذكرهم بهذا الإسم أليق بمقام التذكرة والتحريض من أن يقول لهم: يا بني يعقوب. ولما ذكر موهبته لإبراهيم وتبشيره بإسحاق ثم يعقوب. كان لفظ يعقوب أولى بذلك المقام، لأنها موهبة بعقب أخرى، وبشرى غقب بها بشرى(...) فانظر مشاكلة الإسمين للمقامين، فإنه من باب النظر في إعجاز القرآن، وبلاغة ألفاظه، وتنزيل الكلام في منازله اللائقة به"([4])

---

[1] - الآية٤٢ سورة يونس
[2] - الروض ج٢ ص٧٧
[3] - طبقات الحفاظ ص٤٧٩
[4] - الروض الأنف ج ٢ص٢٩٤.

هكذا كرر المؤلف لفظ (انظر) واستعمل ألفاظا، مثل: (فتأمله) . للفت انتباه القارئ إلى أن ماتم تقريره من بيان إعجاز الآية أو الآيات. ولإمعان النظر -أيضا- في وجه إعجازها، باعتبار أن ذلك لن يدركه القارئ إلا بعد التأمل وإمعان النظر.

المبحث السابع: المحكم والمتشابه

١- مفهوم المحكم والمتشابه:

يختلف العلماء في تحديد معنى كل من المحكم والمتشابه. ومن بين تعريفاتهم، نذكر مايلي:

أ- المحكم: ما عرف المراد منه إما بالظهور وإما بالتأويل. والمتشابه مااستأثر الله بعلمه . كقيام الساعة، وخروج الدجال، والحروف الوقطعة في أوائل السور.

ب- المحكم: ما وضح معناه. والمتشابه نقيضه

ج- المحكم: مالا يحتمل من التأويل إلا وجها واحدا، والمتشابه ما احتمل أوجها

د- المحكم: ما كان معقول المعنى. والمتشابه بخلافه: كأعداد الصلوات، واختصاص الصيام برمضان دون شعبان

هـ- المحكم: ما استقل بنفسه. والمتشابه مالا يستقل بنفسه إلا برده إلى غيره

و-المحكم: الفرائض والوعدوالوعيد. والمتشابه: القصص والأمثال([1])

٢-معنى المحكم والمتشابه عند الإمام السهيلي:

من خلال ما أورده المؤلف من الحديث عن المحكم والمتشابه. نلاحظ أنه القول الثالث(أعلاه) في تحديد معنى المحكم والمتشابه. حيث قال عند تفسيره : "آيات محكمات"([2]) وهو: مالا يحتمل إلا تأويلا واحدا. ثم علل اختياره لهذا التعريف، بناء على الدلالة اللغوية ل"الإحكام". قال رحمه الله: "وهو (المحكم)عندي من "أحكمت"أي: منعته من العدول عن طريقه. كما قال حسان : ونحكم بالقوافي من هجانا. أي نلجمه فنمنعه. وكذلكالآيات المحكمة لا تتصرف بقارئها التأويلات. ولاتتعارض عليه الإحتمالات. وليس من لفظ الحكمة، لأن القرآن كله حكمة وعلم. والمتشابه يميل بالناظر فيه إلى وجوه مختلفة وطرق متباينة([3]).

غير أننا نجد المؤلف لا يثبت على المعنى السابق الذي حدده للمحكم والمتشابه. إذيرى أن الدلالة الغوية ل(محكمات) من قوله تعالى: "آيات محكمات"مخالفة ل(أحكمت) من قوله عزوجل: "كتاب أحكمت آياته"([4])، رغم كونهما يرجعان-كليهما-إلى أصل واحد(ح ك م). وإذا كان قد قرر أن الدلالة اللغوية ل(محكمات) تفيد المنع، فإن دلالة(أحكمت) في اللغة-حسب رأيه-تفيد الإتقان. يقول رحمه الله: "وقوله سبحانه: "كتاب أحكمت آياته"هذا من الحكمة، ومن الإحكام الذي هو الإتقان. فالقرآن كله محكم على هذا، وهو كله من هذا الوجه متشابه أيضا، لأن بعضه يشبه بعضا في براعة اللفظ وإعجاز النظم، وجزالة المعنى وبدائع الحكمة. فكله متشابه وكله محكم([5])

٣-المؤلف والمتشابه:

اختلف العلماء في إمكانية معرفة المتشابه والإطلاع عليه على قولين، منشؤهما: الإختلاف في قوله تعالى: "والراسخون في العلم"([6]) هل هو معطوف. و(يقولون) حال؟ أو مبتدأ خبره(يقولون) والواو للإستئناف؟ذهب إلى القول الأول (العطف)طائفة يسيرة، منهم

---

[1] - انظر الإتقان للسيوطي ج٢ ص٣
[2] - الآية ٧ سورة آل عمران
[3] - الروض الأنف ج ٣ ص١١
[4] - الآية ١ سورة هود.
[5] - الروض. نفس الصفحة السابقة.
[6] - الآية ٧ سورة آل عمران

مجاهد(...) وأما الأكثرون من الصحابة والتابعين وأتباعهم ومن بعدهم، خصوصا أهل السنة فذهبوا إلى الثاني(الإستئناف)([1]).

وعند حديثه عن معنى قوله عزوجل: "منه آيات محكمات هن أم الكتاب وأخر متشابهات"أكد الإمام السهيلي على ضرورة رد المحكم إلى المتشابه، باعتبار أن ذلك شأن الراسخين في العلم، بخلاف أهل الزيغ الذين يتخذون المتشابه ذريعة لمجاراة أهوائهم. يقول في الصدد: "فأهل الزيغ يعطفون المتشابه على أهوائهم، ويجادلون به عن آرائهم. والراسخون في العلم يردون المتشابه إلى المحكم. يقول الله تعالى"فإن تنازعتم في شيء فردوه إلى الله والرسول"([2]). وعلما بأن الكل من عند الله، فلا يخالف بعضه بعضا. روت عائشة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في قوله تعالى: "فأما الذين في قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تاويله"وقال: إذا رأيتم الذين يجادلون فيه، فهم أولئك فاحذروهم"([3]). يلاحظ من هذه الفقرة أن مذهب السهيلي في المتشابهات لا يخرج عن مذهب أهل السنة في التأكيد على وجوب تفويض العلم في ذلك إلى الله عزوجل، وخصوصا ما يتعلق بمتشابه الصفات. والمؤلف –رحمه الله–يرى ضرورة رد المتشابه إلى المحكم. وقد أورد لذلك مثالا، عندما تعقب احتجاج القسيسين والأحبار من أهل نجران بقوله عزوجل: خلقنا، وأمرنا، وأشباه ذلك. وقولهم: إن ذلك يدل على أن الله تعالى ثالث ثلاثة. قال المؤلف معقبا: "تعالى الله عن قولهم. وهذا من الزيغ بالمتشابه، دون رده إلى المحكم، نحو قوله: "وإلهكم إله واحد"([4]) و"قل هو الله أحد"([5])([6]). وكلامه هذا يدل على وجوب اللجوء إلى المحكم الواضح الواضح الدلالة والمعنى، وضرورة الإحتجاج به، لا الإحتجاج بالمتشابه غير الواضح في معناه ودلالته. إذ إن ذلك أسلم وأحكم.

---

[1] - انظر الإتقان ج ٢ص٤

[2] - الآية ٥٨ سولرة النساء

[3] - الروض ج ٣ ص١١

[4] - الآية ١٦٢ سورة البقرة

[5] - الآية ١ سورة الإخلاص

[6] - الروض ج٣ ص١٢.

المبحث الثامن: عام القرآن

العام من المباحث المشتركة بينعلوم القرآن علم أصول الفقه، يتناوله علماء القرآن، كما يتناوله الأصوليون.

-*مفهوم العام: العام"لفظ يستغرق الصالح له من غير حصر"([1])

١-العام وأقسامه عند السهيلي:

أ-أمثلة لعام القرأن من "الروض الأنف":

تحدث المؤلف-رحمه الله-عن عام القرآن عندإيراده قوله تعالى: "ذلك الكتاب لا ريب فيه"([1]) قائلا: "وقد ارتاب فيه كثير من الناس. قيل: هو على الخصوص في المومنين. أي لاريب فيه عندهم. وهذا ضعيف، لأن التبرئة تعطي معنى العموم. وأصح منه أن الكلام ظاهره الخبر. ومعناه: ألا ترتابوا. وهذا النهي(أي لا ترتابوا)عام لا يخصص"([2])

[1] - الإتقان للسيوطي ج٢ ص ٢١.

يرى السهيلي أن قوله عزوجل: "لاريب فيه"عام لجميع الناس. وقد علل قوله بأن الكلام ظاهره الخبر قصد به النهي، وهذا الأخير عام لا يدخله التخصيص. ومن تم حكم بضعف قول من قال: إنه خاص بالمومنين دون غيرهم.

والملاحظ أن الآية الواردة من طرف المؤلف"لاريب فيه"تضمنت أحد ألفاظ العموم، وهو: النكرة في سياق النهي. والتي أدرجها الأصوليون ضمن ألفاظ العموم.

وفي موضع آخر من "الروض"علق السهيلي على قوله تعاللى: "ولا تنكحوا المشركات حتى يومن"([3]) قائلابأنه"تحريم عام، إلا ما خصصته آية المائدة من الكتابيات. والنكاح يقع على الوطء بالعقد والملك"([4])

ب-أقسام العام:

نستخلص-مما سبق-أن المؤلف ذكر قسمين من أقسام العام:

الأول: العام الباقي على عمومه: وقد مثل له بقوله تعالى من سورة البقرة: "ذلك الكتاب لا ريب فيه". وذكر أن هذا العموم لا يخصص البتة. وإن كان الإما م السيوطي أشار إلى أن أمثلة هذا القسم عزيزة ونادرة. بناء عللى قول القاضي جلال الدين البلقيني أنه ما من عام إلا ويتخيل فيه التخصيص"([5])

الثاني: العام المخصوص: ومثل له بقوله عزوجل: "ولا تنكحوا المشركات حتى يومن"الذي هو مخصوص-عند المؤلف-بقوله تعالى من سورة المائدة: "اليوم أحل لكم الطيبات وطعام الذين أوتوا الكتاب حل لكم وطعامكم حل لهم والمحصنات من المومنات والمحصنات من الذين أوتوا الكتاب من فبلكم إذا آتيتموهن اجورهن محصنين غير مسافحين ولا متخذي أخذان"([6]) فالآية الأولى كانت على العموم، إلى أن تم تخصيصها بالآية الثانية.

وأشير هنا إلى أني لم أعثر على نصوص أخرى في "الروض"سوى ما ذكر. مما يتعلق بعام القرآن. وهذه الندرة-ربما هي التي قد حدت من توسيع الموضوع، و حالت دون تكوين رؤية شاملة -ما أمكن-لموضوع عام القرآن من منظور المؤلف.

---

[1] - الآية ٢ سورة البقرة ج٢ ص٢١
[2] - الروض ج٢ص٢٩٣-٢٩٤
[3] - الآية ٢١٩ سورة البقرة
[4] - الروض ج٤ص١٦٦
[5] - انظر الإتفان ج ٢ ص٢١
[6] - الآية ٦ سورة المائدة

المبحث التاسع: مجاز القرآن:

المجاز هو استعمال اللفظ في غير ما وضع له أولا. وهو واقع في القرآن الكريم على قول الجمهور. وأنكره جماعة، منهم: الظاهرية وابن القاص. وابن خويز منداد من المالكية([1])

١- موقف المؤلف من مجاز القرآن الكريم:

لا ريب أن الإمام السهيلي يذهب مذهب الجمهور في جواز وقوع المجاز في القرآن الكريم. من خلال إيراده آيات عدة، أشار إلى أنه لا مجال لحملها على حقيقتها، لا ستحالة استفامة معانيها ودلا لاتها. مما يتعين-بالتالي-حملها على المجاز، بغية استقامة دلالاتها. وهكذا توقف عند قوله عزوجل: "وبلغت القلوب الحناجر"([2]) قائلا: " والقلب لا ينتقل من موضعه، ولو انتقل إلى الحنجرة لمات صاحبه. والله سبحانه لا يقول إلا الحق. ففي هذا دليل على أن التكلم بالمجاز على جهة المبالغة، فهو حق إذا فهم المخاطب عنك"([3])

[1] - انظر الإتقان ج ٢ ص٤٧
[2] - آية ١٠ سورة الأحزاب
[3] - الروض ج٣ص٢٨٥

حما المؤلف الآية على حقيقتها، فلم يستقم معناها، ومن تم تحتم حملها على المجاز. الذي مفاده أن هؤلاء الذين تتحدث عنهم الآية–الصحابة في غزوة الأحزاب–مثلهم"فيما بلغهم من الخوف والوهل وضيق الصدر، كمثل المنخلع قلبه من موضعه"([1])

٢- مجاز القرآن عند السهيلي:

يبدو أن المؤلف لا يجعل المجاز نوعا أوقسما واحدا، بل–هوعنده–على عدةأقسام. يتضح ذلك من خلال إشارته إلى أن الآية السابقة: "وبلغت القلوب الحناجر" مثله قوله تعالى: "يريد أينقض فأقامه"([2]). كلاهما تندرجان ضمن مجاز التشبيه، مما يدل على تعدد أنواع المجاز عنده.

ومن جهة أخرى يلفت المؤلف الإنتباه إلى أنه لا ينبغي حمل كل آية. وإن حصل – ثمة–مماثلة في الألفاظ بينها، وبين آية أخرى محمولة على المجاز. فقوله تعالى: "وبلغت القلوب الحناجر"كما سبق–مجاز–. أما قولق عزوجل: "إذ القلوب الحناجر"([3])– لرغم مماثلته للآية السابقة، فلا معنى –حسب المؤلف–لحمله على المجاز. لأنه في صفة هول القيامة، والأمر فيه أشد([4]).

وبخصوص المجاز العربي، أكد السهيلي على أن القرآن الكريم أنزله اللع تعالى بلسان العرب، وراعى فيه مذاهبهم في الكلام. ومم تم فإن مجاز القرآن لن يفهم فهما سليما إلا بمعرفة طرائق العرب في الكلام، وأساليبهم في الحديث. بناء على ذلك سيكون من العسير على اليهود والنصارى –مثلا الحديث. بناء على ذلك سيكون من العسير على اليهود والنصارى –مثلا–استيعاب معاني ودلالات ألفاظ الكتاب العزيز المتضمنة للمجاز. إذ أن المجاز في القرآن ليس كالمجاز في التوراة أوالإنجيل. هذا ما أراد المؤلف التأكيد عليه، من خلال انتقاده للأحبار والقسيسين من أهل نجران، واحتجاجهم على النبي صلى الله عليه وسلم ببعض الألفاظ الواردة في القرآن الكريم. أساءوا فهمهم لها، باعتبار أنهم حملوها على ظاهرها. في حين أن تلك الألفاظ المحتج بها مجاز في لسان العرب. يقول المؤلف منتقدا

---

[1] - نفسه ونفس الصفحة
[2] - آية ٧٦ سورة الكهف
[3] - آية ١٧ سورة غافر
[4] - الروض ج٣ ص٢٨٥

أولئك: "والعجب من ضعف عقولهم(يقصد أحبار وقسيسي نجران)كيف احتجوا على محمد بما أنزل على محمد(صلى الله عليه وسلم)، وهوأعلم بما أنزل عليه. لأن هذا اللفظ الذي احتجوا به(خلفنا وأمرنا وأشباه ذلك) مجاز عربي، وليس هو لفظ التوراة والإنجيل. وأصل هذا المجاز في العربية أن الكتاب إذا صدر عن حضرة ملك، كانت العبارة فيه عن الملك بافظ الجمع. دلالة على أنه ملك متبوع على أمره وقوله. فلما خاطبهم الله تعالى بهذا الكتاب العزيز أنزله على مذاهبهم في الكلام، وجاء اللفظ فيه على أسلوب الكلام الصادر عن حضرة الملك، وليس هذا في غير اللسان العربي"([1])

هكذا يلح الإمام السهيلي على أنه لا سبيل لمعرفة وإدراك المجاز في القرآن الكريم دون معرفة طرائق العرب وأساليبها في الكلام، ذلك أن الله تعالى أنزل القرآن على مذاهبهم في الكلام. كما يشير المؤلف –أيضا–إلى ان المجاز ليس بالأمر المطرد بين اللغات. فما هو مجاز في لسان، قد يعد حقيقة في لسان آخر، والعكس.

النص السابق –كذلك–يدل على استيعاب المؤلف اموضوع مجاز القرآن، بعد استيعاب أكبر للسان العرب ومذاهب أهله في الكلام.

[1] - الروض الأنف ج ٣ ص ١٢.

المبحث العاشر: الإختصاص

١-مفهوم الإختصاص عند الإمام السهيلي:

أورد المؤلف قوله تعالى: "إن شانئك هو الأبتر"([1]) قاءلا: "ولم يقل: (شانئك أبتر) يتضمن اختصاصه بهذا الوصف، لأن "هو"في مثل هذا الموضع تعطي الإختصاص. مثل أن يقول قائل: إن زيدا فاسق. فلا يكون مخصوصا بهذا الوصف دون غيره. فإذا قلت : إن زيدا هو الفاسق. فمعناه هو الفاسق الذي زعمت"([2]).

كلام السهيلي –هذا– يفهم منه أن الإختصاص في نظره هو"تخصيص أحد أو شيء –دون غيره–بأمر معين. " فجعل العاصي بن وائل هو الأبتر، أي مخصوصا بهذا الوصف دون غيره. كما حعل –من خلال المثال السابق–زيدا هو الفاسق دون غيره، مخصوصا بذلك الوصف.

٢-أوجه الإختصاص في بعض الآيات عند المؤلف:

[1] - آية ٣ سولرة الكوثر
[2] - الروض الأنف ج٢ ص١٤٥

إضافة إلى للآية السابقة التي أوردتها للمؤلف. وهي قوله تعالى: "إن شانئك هو الأبتر". فقد أورد آيات أخر، كلها من سورة النجم. وهي:

-قوله تعالى: "وأنه هوأغنى وأقنى"([1]). **طريق** الإختصاص لهذه الآية-حسب المؤلف- هو دخول الضمير المنفصل (هو)عليها. الذي يفيد الإختصاص. **ووجه** الإختصاص أنه "لما كان العباد يتوهمون أ غير الله قد يغني. قال: "هوأغنى وأقنى. "لا غيره. ([2])

-قوله تعالى: "وأنه هو أمات وأحيى"([3]). وجه الإختصاص في هذه الآية أن الناس"كانوا يتوهمون في الإحياء والإماتة ما توهمه النمرود، حين قال: "أنا أحيي وأميت"أي : أنا أقتل من شئت وأستحيي من شئت. فقال عزوجل: "وأنه هو أمات وأحيا"([4])

-قوله عزوجل: "وأنه هورب الشعرى"([5])أي: هو الرب لا غيره، إذ كانوا قد اتخذوا أربابا من دونه. منها: الشعرى.

وقد علل المؤلف وجه اختصاص الآيات السابقة، بأن الأفعال التي تتضمنها تلك الآيات كان قد ادعاها بعض الناس، في حين أن الآيات السابقة لا تفيد الإختصاص -في نظر السهيلي-.

فقوله تعالى: "وأنه خلق الزوجين"([6]) "وأنه أهلك عادا الأولى"([7]) تم الإستغناء فيه عن (هو)المفيد للإختصاص، لأنه فعل لم يدعه أحد"([8]).

وتجدر الإشارة إلى أن الإمام السهيلي جعل الضمير المنفصل(هو) طريقامن طرق الإختصاص. وقد لاحظ الإمام السيوطي ذلك عند حديثه عن طرق الإختصاص. وعد منها: ضمير المنفصل. ومثل له بآيات عدة، منها الآية التي أوردها المؤلف: "إن شانئك هو الأبتر". وأشار السيوطي إلى أن السهيلي استدل لضمير المنفصل-كطريق من طرق الإختصاص-بأنه"أتى به في كل موضع ادعى فيه نسبة ذلك المعنى إلى غير الله.

---

[1] - آية ٤٧ سورة النجم
[2] - الروض الأنف ج٢ ص١٤٥
[3] - الآية ٤٣ سورة النجم
[4] - نفس المصر السابق ونفس الصفحة
[5] - الآية ٤٨ سورة النجم
[6] - الآية ٤٤ سورة النجم
[7] - الآية ٤٩سورة النجم
[8] - الروض . نفس الصفحة

ولم يؤت به حيث لم يدع، وذلك في قوله عزوجل: "وأنه هوأضحك وأبكى"إلى آخرا لآيات. فلم يؤت به في : "وأنه خلق الزوجين ""وأن عليه النشأة""وأنه أهلك "ولأن ذلك لم يدع لغير الله. وأتى به في الباقي لادعائه لغيره"([1])

هكذا –إذن– أكد السيوطي ما ذكره السهيلي ونوه به. من أن الإختصاص وارد في الآيات التي تتضمن أفعالا ادعاها بعض الناس . أما الآيات المتضمنة للأفعال التي لم يدعها أحد من الناس فلا تفيد الإختصاص.

فالحاصل مما سبق أن الإختصاص في بعض الآيات تتم معرفته انطلاقا من احتوائها على فعل مدعى أو عدمه.

المبحث الحادي عشر: الناسخ والمنسوخ

١–مفهوم النسخ عند السهيلي:

في سياق انتقاده للروافض واليهود فيما يتعلق بجعلهم النسخ والبداء أمرا واحدا، بين الإمام السهيلي حقيقة النسخ قائلا: "... والنسخ للحكم(...) إنما هو تبديل حكم بحكم، بقدر قدره (الله تعالى)وعلم علمه"([2]).

وإذن فالنسخ –حسب المؤلف–هو"رفع حكم شرعي وإبدال حكم آخر مكانه". وهذا التعريف يتفق وتعاريف علماء القرآن والأصوليين. إذ عرفه بعضهم فقال: "هو رفع الحكم الشرعي بدليل شرعي"([3])

٢–مجال النسخ :

يرى الإمام السهيلي –على غرار علماء الأمة –أن النسخ لا يقع البتة في الأخبار، بل في الأحكام. أكد ذلك حينما أورد –رحمه الله–روايةعن ابن عباس تفيد أن وقوف الواحد إلى العشرة في القتال كان حتما في أول الأمر، ثم خفف الله ذلك بقوله: "الآن خفف الله عنكم

---

[1] - الإتقان، ج٢ ص: ٦٦.
[2] - الروض ج ٢ ص٨.
[3] - مناهل العرفان للزرقاني ج٢ ص٣٦٨

وعلم أن فيكم ضعفا"([1]). ثم عقب على هذا فقال: "لكن لا يتبين فيه النسخ، لأن قوله"إن يكن منكم عشرون صابرون"([2]) إلى آخر الآية **خبر**. والخبر لا يدخله النسخ. وقوله : "الآن خفف الله عنكم"يدل على أن ثم حكما منسوخا، وهوالثبوت للعشرة. فإذا للآية ظهر وبطن. فظهرها خبر ووعد من الله تعالى أن تغلب العشرة المائة. وباطنها وجوب الثبوت للمائة. ويدل على هذا الحكم قوله تعالى: "حرض المومنين على القتال"([3]) فتعلق النسخ بهذا الحكم الباطن، وبقي الخبر وعدا حقا قد ابصره المومنون عيانا في زمن عمر بن الخطاب وبقية خلافة أبي بكر (رضي الله عنهما) في محاربة الروم وفارس بالعراق والشام، ففي تلك الملاحم هزمت المئون الالاف من المشركين ". ([4])

ونفس الامر أكده عند حديثه عن أصحاب بئر معونة الذين نزل فيهم قرآن يتلى ثم رفع : " أبلغوا قومنا أن قد لقينا ربنا فرضي عنا ورضينا عنه " حيث علق على هذه الآية مؤكدا أن الخبر لا يلحقه النسخ، بخلاف أحكام التلاوة التي تحتمل النسخ، قائلا: " فإن قيل إنه خبر، والخبر لا يدخله النسخ قلنا : لم ينسخ منه الخبر، وإنما نسخ منه الحكم . فإن حكم القرآن أن يتلى في الصلاة، وأن لايمسه إلا طاهر، وأن يكتب بين اللوحين، وأن يكون تعلمه من فروض الكفاية . ([5])

٣- مناقشة المؤلف للمنكرين للنسخ:

أ- رده على الروافض واليهود:

في معرض حديثه عن البداء، ذكر الإمام السهيلي أن الروافض واليهود يجعلون النسخ والبداء شيئا واحدا. ومن تم فالرافضة يقولون بجواز البداء اعتقادا منهم أنه النسخ نفسه، بينما ينكر اليهود أنه بداء. وقد فند المؤلف المزاعم الباطلة لهؤلاء. وأوضح أن ثمة بونا شاسعا بين النسخ والبداء. قال رحمه الله –بعد أن علق على قول ابن إسحاق"ظن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قد بدا لعمه . بدا أي ظهر له رأي" قال : "ومن أجل أن البدو هو الظهور، كان البداء في وصف الباري سبحانه محالا، لأنه لا يبدو له شيء كان غائبا عنه. والنسخ ليس ببداء كما توهمت الجهلة من الرافضة واليهود. إنما هو تبديل حكم بحكم بقدر

---

[1] - الآية ٦٧ سورة الأنفال
[2] - الآية ٦٦ سورة الأنفال.
[3] - الآية ٦٦ سورة الأنفال.
[4] - الروض ج٣ ص٨٢.
[5] - نفسه ج٣ ص٢٣٩.

قدره وعلم علمه. وقد يجوز أن يقال: بدا له أن يفعل كذا. ويكون معناه: أراد. وهذا من المجاز الذي لا سبيل إلى إطلاقه إلا بإذن من صاحب الشرع . وقد صح في ذلك ما خرجه البخاري في حديث الثلاثة: الأعمى والأقرع والأبرص. وأنه عليه السلام قال: بدا لله أن يبتليهم. ف"بدا"هنا بمعنى: أراد.

وذكرنا الرافضة لأن "ابن اعين"ومن اتبعه منهم يجيزون البداء على الله عزوجل، ويجعلونه والنسخ شيئا واحدا. واليهود لا تجيز النسخ، يحسبونه بداء، ومنهم من اجاز البداء كالرافضة"([1]).

هكذا رد على أولئك الذين يجيزون البداء على الله تعالى. وهوالامر الذي يعد محالا في حقه تعالى. كما أكده السهيلي. ونفى بشدة أن يكون النسخ هو البداء، إذ الأول–كما أوضح المؤلف–إنما هوتبديل حكم بحكم، بينما الثاني فيفيد الظهور بعد الخفاء.

ب– رده على المعتزلة:

في سياق حديثه عن نسخ التلاوة دون الحكم، أكد على أن جائز عقلا وواقع شرعا . كما ذهب إلى ذلك جمهور المسلمين. ورد على المعتزلة الذين أنكروا هذا الضرب من النسخ . قال رحمه الله: "فكل ما نسخ الأحكام ورفعت منه هذه الأحكام، وإن بقي محفوظا فإنه تضمن حكما جاز أن يبقى ذلك الحكم معمولا به، وأنكرت ذلك المعتزلة، وإن تضمن خبرا بقي ذلك الخبر مصدقا به، وأحكام التلاوة منسوخة عنه: "([2])

٤– أقسام النسخ:

من خلال استقراء وتتبع ما ورد في "الروض الأنف"من الحديث عن النسخ، يمكن القول بأن أقسام النسخ التي أوردها الإمام السهيلي تتلخص فيما يلي:

١– نسخ القرآن بالقرآن: ونجد له الأمثلة الآتية:

–قوله تعالى: "واعلموا أنما غنمتم من شيء"([3])الاية نسخت: "قل الأنفال لله والرسول"([4]). وهو أصح الأقوال أنها منسوخة. ([5])

---

[1] - الروض الأنف ج٢ ص٨.
[2] - نفسه ج٣ ص٢٣٩.
[3] - الآية ٤١ سورة الأنفال.
[4] - الآية١ سورة الأنفال.
[5] - الروض ج٣ ص٢٩.

-ذكر المؤلف أن القتال في الأشهر الحرم كان محرما صدرا من الإسلام، ثم أباحته آية السيف([1])([2]).

٢- نسخ السنة بالقرآن: ومثل له المؤلف بنسخ المؤاخاة الثابتة بالسنة، بقوله تعالى: "وأولوا الأرحام بعضهم أولى ببعض في كتاب الله"([3])([4]) كما مثل له بتحويل القبلة التي ثبتت بالسنة، إذ كان عليه الصلاة والسلام يصلي بمكة إلى بيت المقدس على قول ابن عباس. وقالت طائفة: ما صلى إلى بيت المقدس. إلا مذ قدم المدينةسبعة عشر شهرا، أو ستة عشر شهرا. فنسخ القرآن التوجه إلى بيت المقدس بالتوجه إلى الكعبة. قال الله تعالى في الآية الناسخة: "ومن حيث خرجت فول وجهك شطر المسجد الحرام"([5]) وقد عقب المؤلف على هذا النسخ بقوله: "كرر الباري تعالى الأمر بالتوجه إلى البيت الحرام في ثلاث آيات، لأن المنكرين لتحويل القبلة كانوا ثلاثة أصناف من الناس: اليهود لأنهم لا يقولون بالنسخ في أصل مذهبهم. وأهل الريب ولنفاق اشتد إنكارهم له أنه كان أول نسخ نزل. وكفار قريش قالوا: ندم محمد على فراق ديننا، فسيرجع إليه كما رجع إلى قبلتنا"([6]).

ومن أمثلته كذلك: ما عقب به على ابن اسحاق الذي أورد حديذ مصالحة النبي صلى الله عليه وسلم لقريش وشرطهم أن لا يأتيه منهم أحد ممن هو على دينه إلا رده عليهم. إذ قال في الحديث"أن لا يأتيه أحد". قال السهيلي: "وفي هذا الحديث نسخ السنة بالقرآن على أحد القولين. فإن هذا العهد كان يقتضي أن لا يأتيه مسلم إلارده. فنسخ الله تعالى ذلك في النساء خاصة. فقال عزوجل: "فإن علمتموهن مؤمنات فلا ترجعوهن إلى الكفار"([7])([8]).

أما نسخ القرآن بالسنة فلم أعثر له على مثال، مما ورد في "الروض"من حديث عن النسخ.

٥- أنواع النسخ:

ذكر علماء القرآن الكريم أن النسخ الواقع في القرآن يتنوع إلى أنواع ثلاثة:

---

[1] - الآية المنسوخة قوله تعالى:"يسألونك عن الشهر الحرام قتال فيه"الآية ٢١٥. ونسختها آية السيف:"وقاتلوا المشركين كافة. . . "التوبة الآية ٣٦

[2] - الروض ج٣ ص٢٩

[3] - الآية٧٦ سورة الأنفال

[4] - الروض ج ٢ ص ٢٠٥

[5] - الآية ١٤٩ سورة البقرة

[6] - انظر الروض ج ٢ ص٢٠٠-٢٠١

[7] - الآية ١٠ سورة الممتحنة.

[8] - الروض ج٤ ص٣٥.

نسخ التلاوة والحكم معا، ونسخ الحكم دون التلاوة، ونسخ التلاوة دون الحكم.([1])

ومن خلال تتبعي لما ورده في "الروض"من الحديث عن النسخ. لاحظت أن المؤلف اقتصر على ذكر نوع واحد من أنواع النسخ. وهو الذي مثل له. وهذا النوع هو: نسخ التلاوة دون الحكم.

*نسخ التلاوة دون الحكم: ومثل له السهيلي بأمثلة:

أ-"لما قتل أصحاب بئر معونة نزل فيهم قرآن ثم رفع: "أوأبلغوا قومنا أن قد لقينا ربنا فرضي عنا ورضينا عنه"فثبت هذا في الصحيح(...). فكل ما نسخ ورفعت منه هذه الأحكام، وإن بقي محفوظا فإنه منسوخ. فإن تضمن حكما جاز أن يبقى ذلك الحكم معمولا به"([2]).

ب- "لوأن لابن آدم واديين من ذهب لا بتغى ثالثا، ولا يملأ جوف ابن آدم إلا التراب ويتوب الله على من تاب(...) فهذا خبر حق. والخبرلا ينسخ. ولكن نسخ منه أحكام التلاوتله. وكانت الآية-أعني قوله -"لوأن لابن آدم"في سورة يونس بعد قوله: "كأن لم تغن بالأمس كذلك نفصل الآيات لقوم يتفكرون"([3]) كذلك قال بن سلام([4])

ج-الذي بقي حكمه وكان قرآنا يتلى"فالشيخ والشيخة إذا زنيا فارجموهما البتة نكالا من الله ولا ترغبوا عن آبائكم فإن ذلك كفر بكم ". فهذا حكم كان نسخه جائزا حين نسخ حكم التلاوة، وكان جائزا أن يبقى حكم التلاوة وينسخ هذا الحكم"([5])

٦-مصادر المؤلف في الناسخ والمنسوخ:

لم يصرح المؤلف-رحمه الله-بمصدر معين في هذا الباب إلا ما كان من"ابن سلام"، فإنه ذكره مرة بنسبه، وأخرى بكنيته(أبوعبيد). وقد يعزى عدم إيراده للمصادر والمراجع في هذا الباب إلى ما يتمتع به المؤلف من قوة القريحة، والموسوعية في العلوم. يتضح ذلك جليا في استيعابه الجيد للمادة العلمية، ومناقشته لأصحاب الآراء المخالفة، علاوة على التصحيح والتضعيف المتعلقين بالنسخ. يقول -رحمه الله-بعد أن أورد قوله تعالى: "ماكان للنبي والذين

[1] - انظر:مناهل العرفان ج ٢ ص٣٩١
[2] - الروض ج ٣ ص٢٣٩
[3] - الآية ٢٤
[4] - الروض ج ٣ ص٢٣٩
[5] - نفسه ونفس الصفحة

آمنوا أن يستغفروا للمشركين"([1]) وأن النبي عليه الصلاة والسلام استغفر يوم أحد، فقال: اللهم اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون. وذلك حين جرح المشركون وجهه، وقتلوا عمه وكثيرا من أصحابه: "ولا يصح أن تكون الآية نزلت في عمه ناسخة لاستغفاره يوم أحد، لأن وفاة عمه كانت قبل ذلك بمكة. ولا ينسخ المتقدم المتأخر. وقد أجيب عن هذا السؤال بأجوبة. . "([2])

خلاصة القول أن الإمام السهيلي أبان عن علو كعبه في علوم القرآن عامة، وفي علم الناسخ والمنسوخ خاصة. فالرجل ذو باع طويل في حيثيات هذا العلم وجزئياته، والتي أورد بعضا منها في "روضه"على الرغم من أن الكتاب ليس موضوعه علوم القرآن.

[1] - الآية ١١٤ سورة التوبة
[2] - الروض ج ٢ ص١٧٠

***خاتمة:**

تلك هي مباحث علوم القرآن التي عملت على استخراج مادتها من كتاب "الروض الأنف"للإمام ابي القاسم السهيلي–رحمه الله–. وهي مادة خصبة ووفيرة.

ولقد حاولت –من خلال هذا البحث–أن أجلي للقارئ علوم القرآن من منظور عالم لم يعرف كثيرا في هذا المجال، على الرغم من كونه صنف كتابا حول"المبهمات في القرآن"، وآخر في تفسير سورة يوسف. وقد تم استخلاص هذا الموضوع انطلاقا من "روض" المؤلف الذي يتناول سيرة النبي صلى الله عليه وسلم. فليس إيراد علوم القرآن فيه هدفا لذاته.

وخلال بحثي في هذا الموضوع لاحت لي بعض الإستنتاجات والخلاصات. التي منها:

–مصادر علوم القرآن لا تنحصر في المؤلفات التي تحمل عنوان "علوم القرآن". بل هي مبثوتة في غيرها. فمصنفات اللغة والسيرة. . . قد تمثل مصدرا مهما لعلوم القرآن. وما كتاب "الروض الأنف"إلا مثال واضح لهذا الأمر. إذ يشكل أحد مصادر ومراجع علوم القرآن، بالنظر إلى المادة الغزيرة التي تضمنها، وبالنظرأيضا إلى عمق تناول تلك المباحث.

–تفاوت كم المادة بين مباحث علوم القرآن في "الروض الأنف". فالمادة التفسيرية مثلا تتسم بالوفرة والغزارة، تليها المادة المتعلقة بأسباب النزول. . . في حين نجد أن علم المحكم والمتشابه أوعام القرآن، أو الإختصاص، تتميز مادتها بالندرة. مما يتعذر معه التمكن من تكوين رؤية عميقة وشاملة للعلم من منظور المؤلف. إذأن التفاوت الكمي –إلى حد ما–له علاقة مباشرة بدرجة التناول.

–موسوعية المؤلف وغزارة علمه: كثيرة هي العلوم والفنون التي تضمنها روض المؤلف. فمن السيرة النبوية والتاريخ، والأنساب إلى علوم اللغة وعلوم القرآن. وهكذا ينتقل من علم إلى آخر محققا انسجاما تاما وتكاملا جليا بين العلوم. فمما يتعلق بعلوم القرآن: يورد المؤلف الآية أوالحديث أوالتركيب اللغوي، فيتناوله بالتفسير وبيان سبب نزول الآية أوورود الحديث، وإيضاح المكي والمدني والناسخ والمنسوخ. . . دون أن يشعر القارئ بالسأم أو الملل، بل يجعله يسرح في روض حقيقي. هذا مع الإشارة إلى المعالجة العميقة والشاملة لمباحث علوم القرآن مع مراعاة القصد والتوسط.

–وأشير أخيرا إلى أن كتاب "الروض الأنف" سفر عظيم، أشاد به العديد من العلماء وأصحاب التراجم والسير، القدامى منهم والمحدثون. يتضمن كنوزا من ألوان المعرفة، وصنوف العلوم وأضرب الفنون. وهي أعظم من أن يحيط بها الطالب قي حيز زمني جد محدد. وهنا أوجه الدعوة إلى ضرورة الإنكباب على هذا الكتاب –وأمثاله من كتب الثرات–، والإهتمام به من طرف الطلاب والباحثين، عسى أن يستخرجوا بعضا من كنوزه الثمينة، وذخائره النفيسة.

***فهارس مباحث علوم القرآن في "الروض الأنف" للإمام السهيلي :**

	المبحث	الجزء	الصفحة
التفسير	الفرق بين التفسر والتأويل	١ ٢ ٣ ٤	١٥-١٦-٢٢٢ ٢١-٢٢-٥٠-٥١-٦١- ٦٥-٧٦-١٠٩-١٥٠- ١٥٢-١٧١-١٧٩- ١٣ــــ٢٥٠-٢٥١-٢٨٥ ٧٨-١٦٢-٢٠١-٢٠٢
	التفسير بالمأثور: -تفسير القرآن بالقرآن	٣	١٩٤
	تفسير القرآن بالسنة	٢	٢٣٦
	تفسير القرآن بأقوال الصحابة	٢ ٣ ٤	١٥٢-١٧٩ ١٩٤ ٧٨-٢٠٢
	التفسير بالرأي	١ ٢ ٣	٤٠-١٦٦-٢٥٤ ٢١-٢٢-٥٠-٥٥-٦١- ٦٥-٧٦-٢٠١ ٢٥٠-٢٥١
	مصادر السهيلي في التفسير في التفسير	١ ٢ ٣ ٤	٢٣٦-٢٦٩ ١٦-٢٥-١١١-١٥١- ١٥٢-١٨٤ ١٤-٨٢-١٩٢-١٩٣ ١٦٢

	المبحث	الجزء	الصفحة
إعراب القرآن	إعراب الآيات في "الروض الأنف"	١ ٢ ٣ ٤	٢٦٥-٢٦٦ ٥٤-١١٧-٢١٨- ١٩٤ ٦٢-٦٤-١٧٢

	المبحث	الجزء	الصفحة
أسباب النزول	صيغ أسباب النزول	١	٢٧٣
		٢	٢٨٩-١٧٠-١٦٧-٥١
		٣	-١٩٤-١٢٧-٨٢-٧٩ ٢٥٠
		٤	١١٣-٦٧
	تعدد النازل والسبب واحد	١	٢٣٣
	مصادر السهيلي في أسباب النزول	١	٢٧٣
		٢	-١٩٧-١٦٧-٥١
		٣	٢٠١
		٤	٨٢-٧٠
			١١٣
	عموم اللفظ وخصوص السبب	٢	١١٥-٩٤-٧٧

	المبحث	الجزء	الصفحة
المكي و المدني	السور والآيات المكية	١	٥٢
		٢	١٤٤
		٤	٥٨
	السور و الآيات المدنية	١	٢٨٤
		٢	١٣٦

	المبحث	الجزء	الصفحة
القراءات	علاقة اللغة بالقراءات	١	٨-٧٦
		٢	١٠-١١
	علاقة الفقه بالقراءات	٢	١٤٥
	علاقة التفسير بالقراءات	٢	٥٧-١٠٩
	أصول القراءات	١	٢٧٣-٢٠٢
	الشاذ عند المؤلف	٢	١١٦
		٣	٢٣٦
		٤	٢١-٢٢
	أثر اختلاف القراءات في المعاني والأحكام	٢	٩٢
		٣	١٩٤
		٤	٧٧

	المبحث	الجزء	الصفحة
الإعجاز	أوجه الإعجاز:	٢	٧٧-١١٣-١٤٧-٢٩٤
	الإعجاز اللغوي /البلاغي	٣	١١
		٤	٣٤-٣٥

	المبحث	الجزء	الصفحة
المحكم والمتشابه	معنى المحكم والمتشابه	٣	١١
	المتشابه وضرورة رده إلى المحكم	٣	١١-١٢

	المبحث	الجزء	االصفحة
عام القرآن	أمثلة عام القرآن	٢ ٤	٢٩٣-٢٩٤ ١٦٦
	أقسام العام	٢ ٤	٢٩٣-٢٩٤ ١٦٦

	المبحث	الجزء	الصفحة
مجاز القرآن	موقف السهيلي من مجاز القرآن	٣	٢٨٥
	مجاز القرآن: ضوابطه عند المؤلف	٢ ٣	١٤٨ ١٢-٢٨٥

	المبحث	الجزء	الصفحة
الإختصاص	معنى الإختصاص عند السهيلي	٢	١٤٥
	أوجه الإختصاص في بعض الآيات	٢	١٤٥

	المبحث	الجزء	الصفحة
الناسخ والمنسوخ	معنى النسخ عند السهيلي	٢	٨
	مجال النسخ	٣	٨٢-٢٣٩
	انتقاد السهيلي للروافض واليهود والمعتزلة في موضوع النسخ	٢ ٣	٨ ٢٣٩
	أقسام النسخ: نسخ القرآن بالقرآن	 ٣	 ٧٩
	نسخ السنة بالقرآن	٢ ٣ ٤	٢٠٠-٢٠١-٢٠٥ ٢٩ ٣٥
	أنواع النسخ: نسخ التلاوة دون الحكم	 ٣	 ٢٣٩

*فهرس المصادر والمراجع:

- ✓ –القرآن الكريم برواية ورش عن نافع.
- ✓ –الروض الأنف للسهيلي. ومعه السيرة النبوية لابن هشام. قدم له وعلق عليه طه عبد الرؤوف سعد. مكتبة الكليات الأزهرية. القاهرة. دون ذكر تاريخ ورقم الطبعة.
- ✓ –الأعلام . لخير الدين الزركلي . دار العلم للملايين. ط ٥. ١٩٨٠. بيروت لبنان.
- ✓ –الإتقان للسيوطي. شركة ومكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده. ط٤– ١٩٧٨. مصر.
- ✓ –البداية والنهاية للحافظ ابن كثير. مكتبة الصفا ط١– ٢٠٠٣. القاهرة.
- ✓ –البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب لابن عذاري المراكشي. تحقيق محمد الكتاني وأخرون. دار الثقلفة للنشر والتوزيع ط ١. ١٩٨٥. البيضاء.
- ✓ –تاريخ الإسلام . حسن إبراهيم حسن. ط١. ١٩٦٧. الجيزة.
- ✓ –التعريف والإعلام فيما أبهم في القرآن من الأسماء والأعلام. للسهيلي. . تحقيق عبد. أ مهنا.
- ✓ –الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب. لابن فرحون. تحقيق د علي عمر ط١ ١٩٩٥. نشر مكتبة الثقافة الدينية. القاهرة.
- ✓ –جمال القراء وكمال الإقراء. لعلم الدين السخاوي. دراسة وتحقيق عبد الحق القاضي. مؤسسة الكتب الثقافية. ط١ ١٩٩٣ لبنان.
- ✓ –طبقات الحفاظ للسيوطي . تحقيق علي محمد عمر. نشر مكتبة وهبة. ط ٢ ١٩٩٤. القاهرة.
- ✓ –لسان العرب لابن منظور. دار الفكر ط ٦. ١٩٩٧. بيروت لبنان.
- ✓ –معجم المؤلفين. عمر رضا كحالة. اعتنى به وجمعه وأخرجه مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة. ط١. ١٩٩٣ بيروت.
- ✓ –شذرات الذهب في أخبار من ذهب. للإمام شهاب الدين ابن العماد . أشرف على تحقيقه وخرج أحاديثه عبد القادر الأرناؤوط. حققه وعلق عليه محمد الأرناؤوط. ط١. ١٩٩١. دار ابن كثير.

✓ –شجرة النور الزكية في طبقات المالكية. لمحمد مخلوف. شرح حواشيه عبد المجيد خيالي. دار الكتب العلمية. ط١. ٢٠٠٣. بيروت. لبنان.
✓ –المعجب في تلخيص أخبار المغرب. عبد الواحد المراكشي. وضع حواشيه خليل عمران المنصور. دار الكتب العلمية. ط١. ١٩٩٨. بيروت لبنان.
✓ –مباحث في علوم القرآن لمناع القطان. مؤسسة الرسالة. ط ٣٣. ١٩٩٧. بيروت.
✓ –مناهل العرفان في علوم القرآن للزرقاني. ط١. ٢٠٠٣. دارالكتب العلمية بيروت لبنان.
✓ –نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، وذكر وزيرها لسان الدين الخطيب. للمقري التلمساني. ط١. ١٩٩٥. دار الكتب العلمية. بيروت لبنان.
✓ –السعادة الأبدية في التعريف بالحضرة المراكشية . محمد بن محمد الموقت المراكشي. ط ٢ (دون ذكر تاريخ الطبع) دار الطباعة الحديثة . البيضاء.
✓ –وفيات الأعيان لابن خلكان. دار صادر بيروت لبنان

فهرس المحتويات

الصفحة

- مقدمة ---------- ١
- مدخل ---------- ٤
- الفصل الأول: حول المؤلف والمؤلف ---------- ٧
- المبحث الأول: مميزات عصر الإمام السهيلي ---------- ٨
- المبحث الثاني: الإمام السهيلي: نسبه ونشأته---------- ١٠
- المبحث الثالث : آثاره ---------- ١١
- المبحث الرابع: مكانته ومنزلته ---------- ١٤
- المبحث الخامس: حول المؤلف"الروض الآنف" ---------- ١٥
- الفصل الثاني: علوم القرآن في "الروض الأنف" ---------- ١٨
- المبحث الأول: التفسير ---------- ١٩
- المبحث الثاني: أسباب النزول ---------- ٢٦
- المبحث الثالث: المكي والمدني ---------- ٣٠
- المبحث الرابع: القراءات القرآنية ---------- ٣٣
- المبحث الخامن: إعراب القرآن ---------- ٤١
- المبحث السادس: إعجاز القرآن ---------- ٤٤
- المبحث السابع: المحكم والمتشابه ---------- ٤٧
- المبحث الثامن: عام القرآن---------- ٤٩
- المبحث التاسع : مجاز القرآن---------- ٥١
- المبحث العاشر: الإختصاص---------- ٥٣
- المبحث الحادي عشر: الناسخ والمنسوخ ---------- ٥٥
- خاتمة ---------- ٦١
- فهارس مباحث علوم القرآن ---------- ٦٣
- فهرس المصادر والمراجع ---------- ٦٨